جامعة الملك خالد
KING KHALID UNIVERSITY

# مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة فصلية تعنى بالدراسات التاريخية والحضارية

المجلد الخامس- العدد الرابع
أكتوبر 2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم المعياري الموحد

E-ISSN 1658-8568

رقم الإيداع

1442/3597

## رئيس التحرير

أ.د. أحمد بن يحيى آل فائع

## مدير التحرير

أ.د. عبدالعزيز محمد رمضان

## هيئة التحرير

أ.د. مصطفى محمد قنديل زايد

أ.د. نايف بن علي السنيد الشراري

د. علي بن عوض آل قطب عسيري

د. نعمة حسن محمد البكر

# الهيئة الاستشارية

**معالي أ.د. إسماعيل بن محمد البشري**
جامعة الجوف سابقاً

**معالي أ.د. سعيد بن عمر آل عمر**
جامعة الحدود الشمالية سابقاً

**أ.د. عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش**
جامعة أم القرى

**أ.د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي**
جامعة الملك سعود

**أ.د. سليمان بن عبدالرحمن الذييب**
جامعة الملك سعود

**أ.د. مسفر بن سعد الخثعمي**
جامعة بيشة

**أ.د. عبدالعزيز بن راشد السنيدي**
جامعة القصيم

**أ.د. غيثان بن علي جريس**
جامعة الملك خالد

**أ. د. محمد بن منصور حاوي**
جامعة الملك خالد

## المراسلات:

تُوجه المراسلات لرئيس تحرير المجلة على العنوان الآتي: المملكة العربية السعودية، أبها، جامعة الملك خالد، كرسي الملك خالد للبحث العلمي . فاكس: 072289241 , هاتف 072289241, بريد إلكتروني jhc@kku.edu.sa

## شروط النشر:

تُرسل البحوث عبر الموقع الإلكتروني للمجلة https://iitcsvc.kku.edu.sa/KKU_ScientificJournals/ وفق الشروط الاتية :-

- عدم تعارض المادة العلمية مع أحكام الشريعة الإسلامية وأنظمة الدولة.
- تقبل المجلة البحوث والدراسات في مختلف التخصصات التاريخية والحضارية.
- يراعى في البحث الأصالة والجدة والجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي والخلو من الأخطاء العلمية واللغوية.
- أن تتضمن ورقة الغلاف باللغتين العربية والإنجليزية: عنوان البحث، واسم الباحث، ولقبه العلمي، وتخصصه، وبريده الإلكتروني، فضلاً عن ملخص البحث (بما لا يزيد عن 200 كلمة) وكلماته المفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.
- يُرسل البحث باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية عبر موقع المجلة في نسخة word (A4)، على ألا تتضمن أية بيانات دالة على هُوية الباحث، وألا تزيد صفحات البحث عن (50) ورقة تشمل الجداول والمراجع والملاحق.
- كتابة البحث باستخدام نظام متوافق مع أنظمة الحاسب الآلي، على أن يكون نوع الخط عربيًا تقليديًا Traditional Arabic والبنط (18) للعناوين الرئيسة للبحث، و (16) لمتن البحث، و(14) للهوامش.
- أن تكون طريقة التوثيق في نهاية البحث وفق منهج البحث العلمي المتبع، على أن يتم التعريف بالمصدر كاملاً عند ذكره أول مرة، وغير مطلوب إلحاق قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.
- يسمح بالتوثيق من المواقع الإلكترونية وفق الشروط والطرائق المنظمة لذلك.
- عند قبول البحث للنشر في المجلة يُزود الباحث بخطاب رسمي مختوم بالموافقة على النشر.
- تُنشر نسخة الكترونية من أعداد المجلة على موقعها الإلكتروني.
- يتم ترتيب محتويات المجلة وفقًا لاعتبارات فنية.
- كل ما يُنشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه، ولا يُعد تمثيلاً لوجهة نظر المجلة.

# تصدير العدد

يطيب لهيئة تحرير "مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية" أن تقدم للقارئ الكريم عددها السادس عشر (العدد الرابع من المجلد الخامس/ أكتوبر 2024م) الذي يحوي بين جنباته ثلاثة بحوث تتسم بالعمق والجِدّة. ويُجسد هذا العدد عمل هيئة التحرير المستمر والدؤوب لتحقيق الرؤية والرسالة اللتين تطمح إلى تحقيقهما المجلة بهدف الارتقاء بها إلى مصاف المجلات العلمية المتميزة والمعتمدة في أفضل التصنيفات .

والتزامًا من هيئة التحرير للباحث والقارئ الكريم بمبدأ العمل المستمر في إصدار الأعداد؛ فإن العملَ جارٍ على تحكيم بحوث العدد الأول من المجلد السادس (يناير 2025م) ومراجعتها تمهيدًا للنشر في الموعد المحدد.

وأخيرًا؛ تسعدُ هيئة تحرير المجلة بتلقي الملحوظات والمقترحات التي سوف تُسهم في تحسين إخراج المجلة ومحتواها، وتصل بها إلى ما ترتجيه من مكانة علمية عالمية مرموقة، وذلك على بريدها الإلكتروني: jhc@kku.edu.sa

## رئيس التحرير

**أ.د. أحمد بن يحيى آل فائع**

# محتويات العدد

# جدول المحتويات

| عنوان البحث | الصفحة |
| --- | --- |
| **صناعة الأخشاب وأثرها على النّشاط العسكري في دولة المماليك (648–923هـ/1250–1517م)** | |
| د. فهد عليّ حامد الحارثي ..... | 36-1 |
| **جوانب من الحياة العلمية والثقافية في المدينة المنورة في ضوء رحلة ابن رشيد السبتي (ت 721هـ/ 1321م) الموسومة بـ" ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة"** | |
| أ.د. عائشة مرشود حميد الحربي ..... | 67-37 |
| **الأمير طَشْتُمر الناصري (ت.743هـ/1343م) ودوره السياسي والحضاري في عصر أسرة الناصر محمد بن قلاوون وأولاده** | |
| د. مساعد العنزي ..... | 93-68 |

# صناعة الأخشاب وأثرها على النّشاط العسكري في دولة المماليك (648-923هـ/1250-1517م)

د. فهد عليّ حامد الحارثي*
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – السعودية

**المستخلص:**

تناول هذا البحث أبرز أنواع صناعة الأخشاب في العصر المملوكي وأثرها على النشاط العسكري في دولة المماليك، وقد تعدَّدت مصادر تلك الأخشاب لوجود الغابات المتنوعة بين بلاد الشام ومصر، فضلًا عن مناسبة أنواع تلك الأشجار المستخدمة في بناء السفن الحربية وأنواع من الأسلحة والصناعات العسكرية الخشبية كالأبراج، والدبابات، والمنجنيقات، والسهام، وغيرها من أنواع الأسلحة الحربية. وقد بيَّن البحث وجود أنواع من الأشجار التي تصلح لهذا النشاط الصناعي، أهمها شجر البلوط والسّاج والأبنوس والصندل، غير أن الحاجة إلى المزيد من هذه الأخشاب قد دفع بالسلطة المملوكية إلى طلبها من البلاد المجاورة، من أوربا والهند وسيلان وغيرها. كذلك فقد بيَّن البحث وجود رقابة على الغابات والأسواق لمنع استخدام مادة الخشب في كل ما يصلح لبناء الأسطول الحربي أو الأسلحة، كما بيَّن البحث وجود مجموعة من التحديات التي وقفت أمام صناعة الأخشاب، تمثلتْ في الكوارث الطبيعية والبشرية التي هدّدتْ الطبيعة بشكل عام والغابات بشكل خاص. وقد شارك بعض سلاطين المماليك بشكل شخصي في نقل الأخشاب إلى داخل دار الصناعة لأهمية الإعداد والدفاع عن البلاد الإسلامية أمام العدو الذي كان يتربص بها الدوائر لمهاجمتها بقصد تحقيق أهداف سياسية واقتصادية ودينية وغيرها، وقد نجح هؤلاء السلاطين في تحقيق أهدافهم باستغلال ثروات البلاد الطبيعية، وتمتين العلاقات الخارجية مع دول الجوار وغيرها، وهو ما كان له أثره الجميل على النشاط العسكري والحربي في الدولة. وقد توصّل البحث إلى بعض النتائج والتوصيات المهمة، منها أن المماليك اعتمدوا في الحصول على الأخشاب الضرورية لصناعاتهم الحربية والعسكرية على أخشاب الغابات المحلية الواقعة في البلاد الشامية أو الديار المصرية، وعلى الاستيراد من الخارج لإكمال النقص في هذه المادة المهمة، ومنها أن من أبرز آثار صناعة الأخشاب على النشاط العسكري المملوكي هو تصفية الوجود الصليبي في البلاد الشامية بتحرير عكّا سنة 690هـ/1291م.

**الكلمات المفتاحية:** المماليك؛ بلاد الشام؛ الأخشاب؛ العصر الوسيط؛ مصر ؛ السفن الحربية.

# Timber Industry, its impact on military activity during the Mamluks Era (648 – 923 AH /1250-1517 AD)

Fahad bin Ali bin Hamed Al Harithi
Islamic University, Medina – Saudi Arabia
bankinformation@gmail.com

**Abstract:**

This research dealt with timber industry and its impact on military activity during the Mamluks Era. There were many sources of wood due to diverse forests in both Levant and Egypt. These types of trees are suitable for building warships and military ships, as well as types of weapons where woodworking are used in, such as towers, tanks, catapults, and arrows, etc. there are types of trees that are suitable for SUCG activity, the most important of which are oak, teak, ebony, and sandalwood. However, the need for more of such species necessitated demand for the same from neighboring countries, from Europe, India, Ceylon…etc. It is also concluded that there was control over forests and markets to prevent using anything suitable for building a military fleet or weapons. It also concluded that there were some challenges that have hindered timber industry, represented in natural and human disasters, which threaten nature in general, and forests particularly. Some of the Sultans of Mamluks State participated in transporting wood into the House of Industry by himself, as a result of importance of preparing and defending Islamic countries against the enemy who was lurking around to attack the Islamic countries, for political, economic, and religious goals thereof. Sultans of Mamluks State succeeded in achieving their goals, exploiting Country's natural wealth, and winning foreign relations, which had a very important impact on the military and war activity in the State.

At the end of the research, the conclusions and recommendations are given, represented in preservation and benefit from forests, regulate tourism activity, imposing laws against violators, encouragement of cultivation of shrubs for addressing shortage, encouragement of private sector to benefit from and participate in development, and sustainable development in this sector.

**Keywords**: Mamluks; Levant; wood; Middle Era; Egypt; Warships.

**المقدمة:**

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، ثم أمَّا بعد:

فقد ازداد الطلب على الأخشاب في العصر المملوكي بشكل كبير، وذلك لأهميته في بناء الأسطول البحري الحربي والعسكري وحتى المدني، هذا فضلًا عن صناعة أنواعٍ من السلاح التي كانت تعتمد على الأخشاب مادةً أولية: كالمنجنيقات، والدبابات، وأبراج المراقبة، والسهام، وغيرها، ممَّا كان له أجمل الأثر في التقدم الحربي والعسكري المملوكي. وقد اعتمد سلاطين المماليك على الغابات المحلية التي توزعتْ جغرافيًا بين بلاد الشام ومصر، كما اعتمدوا على استيراد الخشب من خارج البلاد، وبالتالي فإنَّ أنواع الأخشاب التي استخدمت في الصناعات العسكرية والحرفية قد تنوعتْ وأخذتْ أشكالاً متعددة، إلَّا أنَّ البحث سيركز على أهم الصناعات العسكرية التي كانت الأخشاب مصدرًا مهمًا من مصادر صناعتها.

وممَّا يجدر ذكره أنَّ الغابات المحلية – الشامية والمصرية – التي كانت مصدرًا لتلك الأخشاب قد تعرضتْ إلى كوارث طبيعية وأخرى بشرية أدّتْ إلى ندرة الأخشاب في وقت كانت فيه الدولة المملوكية في حاجة كبيرة إليها، لاسيَّما وأنَّ الدولة كانت تواجه حينها الخطر الصليبي الحاقد من جهة، والهجمة المغولية المدمّرة من جهة أخرى، ولهذا فقد أُخْضِعتْ تلك الغابات لرقابة صارمة، وفُرضت العقوبات على المخالفين في استغلال أخشابها.

أهمية البحث: تظهر أهمية هذا البحث في كونه يؤرّخ لجانب مهم من التاريخ المملوكي، وهو الجانب الحضاري المتمثّل في الصناعات العسكرية التي تعتمد على الأخشاب مادةً أولية، ويمكن إجمال أبرز نقاط هذه الأهمية فيما يأتي:

- بيَّن البحث أهمية الغابات في البلاد الإسلامية، والاستفادة منها في جميع القطاعات التي تعتمد على الأخشاب.
- ألقى البحث الضَّوء على علاقات سلاطين المماليك السياسية والاقتصادية والعسكرية مع بعض القوى المجاورة سيما فيما يتعلق باستيراد المواد الخام ومنها الأخشاب.
- أوضح البحث أهمية الامتيازات التجارية التي منحها سلاطين المماليك لتنشيط حركة التجارة الخارجية.

مشكلة البحث: تدور الفكرة الرئيسة التي سيتناولها البحث حول مدى تأثير صناعة الأخشاب على النشاط العسكري في دولة المماليك (923-648هـ/1250-1517م)، وقد ألقت مشكلة البحث بجُملة من الأسئلة التي يمكن استخلاصها من خلال النقاط التالية:

- هل الأخشاب – كمادة أولية في الصناعة الحربية والعسكرية المملوكية – كانت من مصدر واحد؟
- ما أنواع الأخشاب التي استُخدمتْ في الصناعة الحربية والعسكرية المملوكية؟
- ما طبيعة الرقابة التي فرضتها السلطة المملوكية على الغابات والأسواق فيما يتعلق بتجارة الخشب؟
- إلى أيّ مدى أثّرتْ الصناعة الخشبية على النشاط العسكري، وما أهمّ دور لهذه الصناعة، وما أبرز أنواع تلك الأسلحة المنتجة؟

أهداف البحث: تتحدّد هذه الأهداف في الإجابة عن الأسئلة التي فرضتها إشكالية البحث، ويُمكن إجمال تلك الأهداف في النقاط التالية:

- الوقوف على مصدر الأخشاب التي كانت أساس الصناعة الحربية والعسكرية المملوكية.
- معرفة أنواع الأخشاب التي استُخدمتْ في الصناعة الحربية والعسكرية المملوكية.
- رصد طبيعة الرقابة التي فرضتها السلطة المملوكية على تجارة الأخشاب ومدى فعّاليتها في ازدهار الصناعة الحربية والعسكرية.

حدود البحث: تنقسم حدود البحث إلى قسمين: الحدود المكانية التي تمثلت في جميع حدود دولة المماليك الجغرافية التي فرضتْ سيادتها عليها. وأمَّا الحدود الزَّمانية فهي الحقبة الزمنية التي امتدّت لما يقرب من ثلاثة قرون خلال الحقبة (923-648هـ/1250-1517م).

الدِّراسات السَّابقة: تجدر الإشارة إلى أنَّ العنوان «صناعة الأخشاب وأثرها على النَّشاط العسكري في دولة المماليك» قد تطرَّقت إلى جوانب منه بعض الدِّراسات السابقة، ونذكر أهم هذه الدراسات ومنها:

- صناعة الأسلحة الثقيلة والنارية في الدولة المملوكية 648هـ - 923هـ/1250م - 1517م؛ أطروحة دكتوراه؛ تقدم بها الباحث: عبد الله محمد النايل، من قسم التاريخ والحضارة، بكلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض لعام 1424هـ/2003م. تحدث في الفصل الأول منها عن جهود سلاطين المماليك في التصنيع الحربي، كما تحدث في الفصل الثاني عن مراكز التصنيع، بينما أفرد الفصل الثالث عن صناعة المجانيق، وأما الفصل الرابع فتحدث عن صناعة آلات الحصار الثقيلة. وقد تبيَّن أنَّ الأطروحة تطرقت إلى جزء من دور صناعة الأسلحة المتمثلة في المجانيق، والأقواس وغيرها.

- دور الصناعة العسكرية ومواردها في الدولة المملوكية 648هـ - 923هـ/1250م – 1517م؛ رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، تقدمت بها الباحثة: ماجدة البهلوان، من قسم التاريخ، بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية؛ لعام 2019م. كان أهم ما يتوافق مع أجزاء دراستنا أن تحدثت في الفصل الأول عن دور الصناعة العسكرية في الدولة المملوكية، واستعرضت بعضًا من الأسلحة المستخدمة في القطاع العسكري، فضلًا عن الوظائف الإدارية في دور الصناعة. وكانت الرسالة في حدود (169ص).
- أشغال الخشب بعمائر القاهرة الدينية في العصر المملوكي الجركسي 784هـ – 923هـ/1382م – 1517م؛ أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، تقدم بها الباحث: محمود الجندي؛ بكلية الآداب، جامعة طنطا، لعام 2007م. تكونت الرسالة من (1060ص) في مجلدين. وقد ركز الباحث فيها على الجانب المدني.
- أثر غابات بلاد الشام على الاقتصاد في العهد المملوكي، لأبي شلوف نسيم زريق، جامعة الأقصى، غزة، فلسطين. تناول البحث: أماكن وجود الغابات في الشام وأنواعها، كما تناول المراعي والثروة الحيوانية والضرائب، ثم تحدَّث عن النباتات البرية التي تنمو في الغابات وأهميتها الاقتصادية، ثم تناول صناعة الأسلحة وأدوات القتال، ثم تحدث عن أهمية الحرف الاقتصادية القائمة على الغابات. ومن خلال الاطلاع على البحث تبيَّن أنَّ الباحث ركَّز على الغابات في البلاد الشاميَّة بشكل مختصر، كما تناول صناعة السلاح وأدوات القتال مختصرًا، ومن عنوان البحث تبيَّن أثر الغابات في البلاد الشامية على الاقتصاد بشكل عام.
- الأبواب الخشبية المصفحة بالبرونز في العصر المملوكي، تقنيتها، زخرفتها، علاجها وصيانتها، مقال في دراسات في آثار الوطن العربي لكل من: أ.د: محمد عبدالهادي، وَ د: مختار الكسباني، تناول البحث الجوانب المدنية من تقنيات تصفيح الأبواب في العصور السابقة، والعصر المملوكي، ثم تنقلت الرسالة حول عوامل تلف الأبواب وتأثرها بعوامل خارجية وداخلية وطرق علاجها.
- الصناعات الحرفية في مصر عصر المماليك، مقال بمجلة إكليل للدراسات الإنسانية، أ.م.د. أنوار العنبكي، العدد الثالث، أيلول 2020م. تناول المقال أسباب اهتمام المماليك بالصناعات الحرفية، ثم انتقل إلى عناصر الزخرفة، والزخارف الهندسية، والكتابية، والرنوك، وطرز السجاد المملوكي، والصناعات ومراكز الصناعة، وأساليب الزخرفة، وتطرق إلى بعض التحف الخشبية، مثل المنابر، والكراسي، والصناديق، والمشربيات، ثم تناول صناعات الأسلحة الحربية المعدنية، والحلي والمجوهرات وغير ذلك.

وقد تبين في أغلب الدِّراسات السَّابقة التركيز على مادة الخام المستخدمة في الصِّناعات العسكرية والمدنية معًا، وجميع ذلك له أثره على الغابات، وجميع الأخشاب، سلبًا وإيجابًا.

منهج البحث: اعتمد البحث على المنهج الوصفي؛ والتاريخي للوقوف على أبرز الصناعات الخشبية العسكرية في سلطنة المماليك، وعلاقاتهم الخارجية، وسياستهم مع تجار الخشب في الداخل، مع الالتزام بالإطارين الزماني والمكاني لموضوع البحث، والاهتمام بالتّسلسل الزماني للحوادث للوصول للنتائج المرْجُوَّة التي يهدف إليها البحث. كما اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي؛ وذلك بتحليل ومناقشة النصوص التاريخية، وذلك بالعودة إلى المصادر الأصلية، ثم استخراج أهمّ المعلومات وأدقها فيما يتعلّق بالموضوع، ثم تصنيف تلك المعلومات، وترتيبها، وتحليلها؛ وفق النقد الموضوعي، بقصد الوصول – ما أمكن– إلى الحقائق التاريخية المنشودة.

## أولاً. مصادر الأخشاب وأنواعها:

تنوعتْ مصادر الأخشاب في دولة المماليك الذين اعتمدوا على المصادر الداخلية من الغابات، كما اعتمدوا على المصادر الخارجية التي تمثلت في الاستيراد من بعض الدول الأوربية وغيرها. فبلاد الشام تُعدُّ مصدرًا من مصادر الأخشاب لوفرة غابات الأشجار بها، وهذا بطبيعة الحال يرجع إلى خصوبة أراضيها، ووفرة المياه فيها، ولعلّ من أبرز المناطق الغابية الشامية، تلك المجاورة لبيت المقدس، حيث تكثر فيها الأشجار بأنواعها[1]، ومن هذه الأماكن التي تُعدُّ مصدرًا مهمًّا للأخشاب جبل الخليل[2] الذي تكسو منحدراته أنواع مختلفة من الأشجار[3]، وجبل طابور غربي بحيرة طبرية[4] الذي تنمو فيه أشجار كثيرة أهمها أشجار الزيتون، وأشجار الخروب المعروفة بمتانتها وصلابتها[5]، وكذلك مرتفعات جبال لبنان التي تنمو فيها أشجار الصنوبر، والعرعر، والأرز، وغيرها[6]، هذا فضلًا عن ضواحي مدينة بيروت التي يوجد بها سهول مليئة بالأشجار، مثل الصنوبر[7]. كما تُعدُّ بلاد الشقيف– أكبر أعمال صور – مصدرًا من مصادر الأخشاب الجيدة مثل خشب الصنوبري، وخشب السِّنديان[8]، كما اعتمدت البحرية المملوكية في عهد السلطان بيبرس[9] على أخشاب الغابات الواقعة جنوب الأناضول، والتي كانت تحت نفوذ الصليبيين بقيادة الملك الأرمني هيثوم الأول[10]، وزوج ابنته أمير أنطاكية بوهيموند السادس[11]، وكان الصليبيون يصدّرون تلك الأخشاب إلى الديار المصرية؛ ثم توقفوا عن ذلك لأمور سياسية وأخرى عسكرية، فكان ذلك من العوامل التي أثارت غضب سلاطين المماليك في القاهرة فقاموا بشنّ حرب على مملكة أرمينيا الصغرى[12]، ومنها غابات جبل شغلان الواقع بالقرب من أنطاكية[13]، ويعدُّ هذا الجبل من الجبال الأكثر شهرة بأشجار الصنوبر المشهورة بجودة أخشابها لصناعة الأسلحة، ولذلك

عندما هاجم الصليبيون الإسكندرية واتخذوا من جزيرة قبرص[14] مركزًا لعملياتهم الحربية سنة 767هـ/1365م، فدمروا البلاد وقتلوا الكثير من العباد، واستخدموا سياسة الأرض المحروقة عند مغادرتهم، فأمر السلطان الأشرف شعبان[15] بعمارة ما أفسده الصليبيون في الإسكندرية، وشدّد على إعادة عمارة الشواني[16] والمراكب العسكرية في مصر والشام، فخرج النجارون إلى جبل شغلان بالآلات وقاموا بقطع الأشجار، وحُملت الأخشاب والألواح إلى المراكب، ونُقلت بحرًا إلى الإسكندرية لصناعة تلك السفن الحربية[17]، فضلًا عن صيدا[18] التي كانت كثيرة الأشجار النافعة في صناعة أدوات القتال[19].

كذلك، كانت قصور السلاطين ودورهم مصدرًا من مصادر الأخشاب المستعملة في صناعة السفن الحربية والأسلحة، ومن ذلك قصر سرياقوس الذي عمَّره السلطان الناصر محمد بن قلاوون[20]، فقد استُخدمت أشجاره في عمارة السفن الحربية على ساحل بولاق في عهد السُّلطان الأشرف برسباي[21]، وتحديدًا في جمادى الآخرة سنة 828هـ/1425م، حيث صُنع منها طريدتان حربيتان[22]، ومن أنواع الأخشاب المستخدمة في صناعة الأسلحة الحربية والسفن والأغربة[23]، أشجار الجميز، وأشجار الحور التي أفرط المماليك سنة 828هـ/1425م في قطعها ظلمًا وبغير رضًا من أصحابها، فضلًا عن تسخير الناس لهذا العمل الشاق، وذلك بعد أن استفحل هجوم قراصنة الصليبيين على السواحل المملوكية، وكذلك بعدما قرّر السلطان الأشرف برسباي غزو جزيرة قبرص التي هي المقرّ الرئيس لهؤلاء القراصنة، وقد علّق المقريزي على تلك الحادثة بقوله: "فأشْبه هذا الغزو من صلّى لغير القبلة بغير وضوءٍ عمدًا"[24].

ومن مصادر الأخشاب كذلك ما كان يحتكره بعض النواب وكبار الأمراء والوزراء تعسفًا ثم بيعه على التجار والعامة بثمن مرتفع، كما فعل الوزير شرف الدين النّشو[25] سنة 737هـ/1336م بعد أن قام بوشاية سعى بها إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فألزم الأخير التجار بدفع الثمن تحت التهديد بالعقوبة، وقد بالغ النّشو في أسعار الأخشاب ممّا جعل زوج السلطان[26] تتدخل –بحضور السلطان– في رفع قيمة الأخشاب المفروضة عن بعض التجار، مبينة أن قيمة الأخشاب أقل بكثير ممَّا فرضه الوزير النّشو[27].

وتُعدُّ الغابات في الديار المصرية مصدرًا من مصادر الأخشاب لوجود أشجار السنط التي كانت تنمو بكثرة في الوجه القبلي من نهر النيل، كالبهنساوية، والأسيوطية، والأخميمية، والأشمونين، وغيرها، فكان لا يُقطع منها إلَّا ما دعتْ الحاجة إليه[28]، وقد جرت العادة أنَّ أخشاب البهنسا لا تُباع إلَّا ما زاد عن حاجة الدولة إليه، وقد تعطل ذلك فيما بعد وأخذت أيدي الناس في قطع تلك الأشجار، ولم يبق منها شيء في عصر دولة المماليك الجراكسة[29].

ومن مصادر الأخشاب كذلك بلدة العلايا[30]؛ وقد ذكر الرحالة ابن بطوطة (ت779هـ/1377م) أنَّ هذه المدينة كان يقطنها التركمان وينزل بها مجموعة من تجار مصر والشام، وأنّها مدينة كثيرة الأخشاب يُصدّر منها إلى الشام، والإسكندرية، ودمياط، ومنها يحمل إلى دور الصناعة[31].

وممَّا تجدر الإشارة إليه أنه بالرغم من كثرة أقاليم دولة المماليك إلَّا أنّ أشجار غاباتها لم تكن كافية لبناء الأسطول الحربي أو لصناعة الأسلحة، ولذلك أخذت السلطة المملوكية على عاتقها استيراد أنواع جيدة من الأخشاب من أماكن أخرى خارج أقاليم وحدود الدولة المملوكية، مثل بلاد الهند المعروفة بأخشاب الأبنوس[32] والصّندل[33] والسَّاج وغيرها[34]، وقد تأكّدت تلك الحقيقة التاريخية في رسالة لصاحب سيلان بعث بها إلى السلطان المملوكي المنصور قلاوون[35] سنة 682هـ/1283م[36]. كما ذكر المقريزي أن السلطة المملوكية كانت تستورد أخشاب شجر البنج التي كانت تُستخدم في صناعة المراكب، وأشار إلى أنَّ هذه الأخشاب إذا شُدَّ بعضها ببعض وألقيت في الماء أيامًا أصبحت قطعة خشبية واحدة[37].

كما استورد سلاطين المماليك الأخشاب من أوربا، وتحديدًا من المدن الإيطالية كجنوة[38]، والبندقية[39]، وبيزا[40]، وغيرها[41]، فقد كان الإيطاليون يُصدرّون السلع إلى المدن الشامية والديار المصرية، ولعل أهم هذه السلع كانت الأخشاب التي تُصدر إلى عكّا الصليبية ومنها إلى المدن الإسلامية[42]. وقد استمرت تجارة البنادقة تتدفق إلى مصر والشام رغم الحروب التي كانت مشتعلة بين المسلمين والصليبيين في تلك الحقبة، وكان السلطان بيبرس يحرص على استمرار العلاقات التجارية مع البنادقة، وحتى عندما استعاد إمارة أنطاكية سنة 666هـ/1268م بقيت العلاقات التجارية مستمرة مع البندقية، وكان أساسها تصدير الأخشاب والحديد وأدوات القتال إلى مصر[43]. غير أن الأمر تغيّر بعد سنة 690هـ/1291م، وهي سنة استرداد عكّا في كنف المسلمين[44]، فقد أصدر البابا نقولا الرابع[45] مرسومًا حدّد فيه عقوبة الحرمان على كل من ينقل السلع والمتاجر إلى بلاد المسلمين لاسيما إلى مصر والشام[46].

ويبدو أنَّ البندقية كانت تقوم بدور مزدوج في تجارتها بين الشرق والغرب، فقد كانت تصدر الأسلحة وأدوات القتال إلى المسلمين في الديار المصرية والبلاد الشامية، في الوقت نفسه الذي كانت تمدُّ فيه يد المساعدة العسكرية والحربية إلى الصليبيين الغزاة في البلاد الشامية؛ ففي سنة 702هـ/1302م وقّعت البندقية معاهدة تجارية مع السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وفيها تحديد الامتيازات التجارية، وإعفاء تجارتهم من الضرائب المقررة عليها، وبالمقابل تعهَّد البنادقة بجلب السلع الحربية إلى الديار المصرية خاصة الأخشاب، والحديد، والقار، التي حرمتها البابوية على المسلمين في

الشام ومصر[47]، كما تم استيراد الأخشاب من مدينة بيزا الإيطالية وذلك سنة 705هـ/1305م، على الرغم من القرارات البابوية التي حرَّمت التجارة مع المسلمين منذ سنة 690هـ/1291م[48]. ويمكن القول إنَّ بعد سقوط مدينة عكا آخر المعاقل الصليبية في البلاد الشامية، تبيَّن عجز البابوية من إرسال حملات عسكرية ضد المسلمين، فقرر المقر البابوي استعمال سياسة «الحصار الاقتصادي» ضد البلاد الإسلامية، سيما فيما يتعلق بصناعة الأسلحة مثل الخشب والحديد والقطران وغير ذلك.

ومنها كذلك مدينة جنوة الإيطالية التي حصلت على امتيازات تجارية من القاهرة[49]. ويبدو أنَّ مصر والشام – زمن الحروب الصليبية – كانت محلّ جذبٍ للتجار الإيطاليين، كونها كانت حلقة الوصل بين الشرق والغرب. وممَّا يدل على ذلك أنَّ الموانئ المملوكية كانت سوقًا رائجًا للسلع والمتاجر الأوربية بأنواعها.

## ثانيًا. رقابة دولة المماليك على صناعة الأخشاب:

بذل سلاطين المماليك جهودًا كبيرة في حماية الغابات التي تُعدُّ مصدرًا من مصادر الأخشاب المستخدمة في صناعة مراكب الأسطول والأسلحة؛ فكانت هناك رقابة مشدَّدة من الحرَّاس لحماية هذه الأشجار من الاحتطاب الجائر، أو التجارة غير المصرّحة، وأشهرها ما كان في المناطق الغابية المصرية كالبهنساوية، والأسيوطية، والقوصية، وغيرها[50]. وقد خضعتْ هذه الغابات للرقابة، وتم التشديد على الغابات التي تُنتج هذه المادة الاستراتيجية، فلا يُقطع منها إلَّا ما زاد عن الحاجة، ولا يقطع منها إلَّا من أطراف الأشجار ممَّا يستخدم في الوقود ويباع إلى التجار، وأمَّا في منطقة البهنسا فإنَّ الأخشاب لا تباع إلَّا ما زاد عن المصالح السلطانية[51].

كذلك كان للمُحتَسِب[52] دور كبير في الرقابة العامة داخل المجتمع، ومنها الرقابة على المراكب والسفن التجارية المدنية بألَّا يحملوها أكبر من حمولتها المعتادة، وألَّا تسير وقت هبوب الريح تخوفًا من غرقها[53]، وقد ذكر ابن الأخوة (ت729هـ/1328م) بابًا في الحِسْبة على الخشّابين والقشّاشين[54] والنجّارين، بيَّن فيه أهمية الرقابة على تلك الحِرف والصنائع، فذكر أنَّه يجب على المُحتَسِب أن يُعرِّف عليهم رجلاً من أصحاب الحِرفة عليمًا بعملهم وصنعتهم، ويجبُ أن يمنع الخشّابين من شراء الأخشاب من الصغير في سنّه، أو المحْجُور عليه، أو أخشاب الوقف، وغير ذلك[55].

ومن أنواع الرقابة المملوكية على الصناعة الخشبية، الإشراف من قبل أرباب السيوف[56] على بناء السفن بميناء طرابلس الشام[57]، ومراقبة الزوارق والسفن الحربية في عرض البحر[58]؛ هذا فضلًا عن المهام التي يقوم بها شادّ المراكب[59] على صناعة السفن الحربية وتجهيزها[60].

وقد ذكر ابن شاهين الظاهري (ت873هـ/1468م) فعالية هذه المراقبة التي كان يشرف عليها المحاسب وشادّ المراكب، فأشار إلى أنَّ ما تمَّ ضبطه من المراكب المتنوعة بساحل مصر القديمة ينيف عن ألف وثمانمائة مركب[61].

## ثالثًا. أهم الصناعات الحربية والعسكرية:

1- **دور الصناعة العسكرية في دولة المماليك:** تطلق كلمة صناعة على مكان إنشاء المراكب بشكل عام، سواء كان ذلك موضع صناعة السفن الحربية، أو المدنية، إذ إن المراكب الحربية هي التي أُعِدَّت للغزو ضد العدو، وما كانت تحمله من السلاح والرجال، وكان يطلق على المراكب البحرية اسم الأسطول، وكانت تنطلق من الثغور البحرية بالدِّيار المصرية والسواحل الشّامية[62].

وكانت مراكز دور الصناعة في كل من:

أ- جزيرة أروى: وهي الجزيرة المعروفة بالجزيرة الوسطى، وتقع بين الروضة وبولاق، وكان الأمير يلبغا العمري[63] قد أمر بالعمارة؛ وعمل الشَّواني في هذه الجزيرة، فجمع من الأخشاب لصناعة الآلات الحربية، واستنفر الهمم للعمل ليلًا ونهارًا، وذلك بعد وقعة الإسكندرية التاريخية سنة 767هـ/1365م، وقد تولّى عمارة هذه الدار الصناعية الأمير فخر الدين ابن قزوينه[64][65].

ب- ساحل بولاق: خارج مدينة القاهرة، وكانت تستخدم فيها الأخشاب لصناعة الأغربة وغيرها[66].

ج- دارا الصناعة في ميناء الإسكندرية ودمياط: وقد وُجدتْ منذ عهد السلطان بيبرس، وكانت تحمل إليهما الأخشاب لعمارة المراكب، تحت إشراف السلطان المباشر[67].

د- ساحل مصر القديم: وهي دار صناعة كانت مخصّصة لصناعة المراكب الحربية إلى ما قبل سنة 700هـ/1300م[68].

هـ- طرابلس الشّام: أشار المقريزي إلى أنَّ سلاطين المماليك كانوا يأمرون بعمارة السفن والمراكب الحربية في ساحل بلاد الشام، وتحديدًا في ميناء طرابلس الشّام وغيره من الموانئ الشامية الأخرى[69].

2- **الأسطول البحري:** لم يكن لسلاطين المماليك اهتمام كبير بالأسطول البحري إلَّا في عهد السلطان الظاهر بيبرس، بالرغم من تصديهم للصليبيين الذين هاجموا السواحل الشامية في أواخر

عصر الدولة الأيوبية، وربَّما يعود ذلك إلى المشاكل السياسية والنزاع حول السلطة التي كانت بين كبار الأمراء منهم من جهة، والاستعداد لصد هجوم المغول الكبير في عين جالوت[70] من جهة أخرى، غير أن الأمر تغير بعد استقرار السلطة بأيدي سلاطين المماليك الأقوياء الذين خصَّصوا جزءًا من ميزانية الدولة للنفقة على بناء الأسطول البحري، وأصدروا مرسومًا لأحد الأمراء بالإشراف على صناعته[71].

وكانت المراكب في دور الصناعة تنقسم إلى قسمين: مراكب حربية، ومراكب نيلية؛ فالمراكب الحربية هي ما كانت تُعدُّ قوة حربية لدولة المماليك، يعتمدون عليها في غزواتهم ضد خصومهم، وكانت هذه المراكب تُشحن بالأسلحة المتنوعة والرجال، وكانت تستخدم للدفاع والهجوم ضد العدو، خاصة في الثغور التي اعتاد العدو على مهاجمتها، أو القيام بأعمال القرصنة في عرض البحر بالقرب منها؛ وأما المراكب النيلية التي تجري في النيل ذهابًا وإيابًا، فكانت تُستخدم في حمل الغلال وما إلى ذلك[72]، وقد ذكر الرحالة ابن بطوطة (ت777هـ/1376م) أنَّ مدينة سمنود الواقعة على شاطئ النيل اشتهرتْ بكثرة مراكبها[73]، وهذه دلالة على ما كان يُستهلك من الأخشاب في صناعة المراكب النيلية في تلك الحقبة الزمنية من دولة المماليك.

وقد ذكرت بعض المصادر التاريخية مدى اهتمام سلاطين مصر بالأسطول البحري، وذلك لما له من أهمية كبرى في الدفاع والهجوم ضدَّ العدو، فأشارتْ إلى أن السلطان بيبرس أخذ في النظر والاهتمام بأمر الأسطول في شوال سنة 669هـ/1270م، إلَّا أنَّ هذا الأمر لا يخلو من العوائق المانعة في تحقيق أهداف السُّلطان المتمثلة في قلة الأخشاب لصناعة السفن الحربية، إذ عقد اجتماعًا مع رؤساء الشواني، وأمر بقطع الأخشاب من الغابات الصالحة للعمارة، وأصدر أوامره بمنع قطع الأخشاب وتشديد الرقابة على ذلك من قبل العامة، ورتّب العمل وأشرف عليه، وأمر باستدعاء جميع الشواني الموجودة بالثغور ليعيد ترتيبها؛ والعمل عليها، وكان عدد الشواني قد جاوز الأربعين قطعة بحرية[74]، هذا فضلًا عن الحراريق[75] والطرائد[76]، وكان هذا النوع من السفن يستهلك الكثير من الأخشاب، وكذلك يأخذ وقتًا في صناعته، وقد كان هذا النوع من السفن شائعًا في العصور الوسطى[77].

وفي عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون[78] كان للأسطول البحري مكانة كبيرة واهتمام واسع لحماية البلاد من خطر عودة الغزو الصليبي بعد تحرير مدينة عكّا، حيث أمر السلطان الوزير ابن السّلعوس[79] سنة 692هـ/1292م بتجهيز مجموعة من الشواني في دار الصناعة، إذ بلغ عدد الشواني أكثر من ستين شونة، وأعدَّ لها العدد من السِّلاح والرِّجال، ورتَّب عليها القادة من كبار الأمراء[80]، ومما لا شك فيه أنَّ هذه المراكب قد احتوت على كثير من

الأخشاب، فضلًا عن الأيدي العاملة، فخرجت تلك المراكب –وبكل مركب منها برجٌ جيدٌ– فأحسن الصنَّاع عملها ممَّا جعل العامة تخرج لمشاهدتها، فكان يومًا مشهودًا، ولما وصلتْ الأخبار إلى الصليبيين وما أعده السلطان في مصر من القوة، أرسلوا بالهدايا الثمينة إليه طالبين الصُّلح[81].

كذلك، فقد برز اهتمام السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالأسطول البحري، فقام بتجهز المراكب الحربية بأنواعها، وألزم الأمراء بتجهيزها بآلات القتال المتنوعة، وبدأ عرض المراكب في الروضة، حيث سارت إلى ميناء طرابلس ومنها إلى جزيرة أرواد[82] وقاتلوا من بها من الصليبيين وعادوا منصورين[83]. وكذلك دخلت صناعة الأخشاب في السفن الحربية الصغيرة التي كانت تدخل ضمن ملحق الأسطول الحربي، وكانت تُعرف باسم البرصاني، وقد شاع استخدامها في حوض البحر المتوسط ضمن حملاتهم العسكرية على جزيرة قبرص سنة 729هـ/1328م[84].

كذلك استخدم المماليك مراكب صغيرة عُرفت باسم "الشكِّير"، وهي من السُّفن المرافقة للأسطول، ومن مهامها التَّجسُّس والاستطلاع، وتتميَّز بالخفة وسرعة الهجوم على سفن العدو، ثم تمكنها من الهروب والاختفاء[85]، كما استخدامت الزَّوارق في التَّجسُّس العسكري والاستطلاع لخفَّةِ حركتها ولصغر حجمها أيضًا[86]، واستُخدمت سُفن أخرى صغيرة في النشاط العسكري والمدني معًا كانت تعرف بـ "الدّغليس"[87]. كما دخلت صناعة الأخشاب في السفن الحربية المعروفة بـ "الشّلنديات"، وهي من السفن ذات الحجم الكبير المخصّصة لنقل الجنود والأسلحة بسبب اتساعها وإمكانية القتال على سطحها[88]، ومنها السفن المعروفة بـ "الشواطي"، وهي مراكب حربية صغيرة خفيفة الحركة وسريعة، تجدف بأعداد كبيرة من المجاديف التي يُقدّر عددها ما بين خمسين إلى ثمانين مجدافًا، وقد استخدمت في حوض البحر المتوسط تحديدًا[89].

كما استخدم المماليك نوعًا آخر من السفن الحربية الكبيرة عُرفت بـ "القرقورة"[90]، واستُعملتْ أساسًا في تزويد الأسطول بالأطعمة والأشربة والعُدَد الحربية المختلفة والمتنوعة، غير أن هذا النوع من السفن تميّز بحركته البطيئة لكبر حجمها[91]. ومنها الأغربة الحربية[92] وسُميت بالأغربة كون مقدمة السفينة على هيئة رأس الغراب، ومن مهام هذه السفن القيام بعملية الاستطلاع وجمع المعلومات عن العدو[93]، وقد شاركت الأغربة في الحملات العسكرية ضد القراصنة الصليبيين في حوض البحر المتوسط[94]، ومثال ذلك ما ذكره ابن تغري بردي (ت874هـ/1469م) من أنَّ السلطان الأشرف برسباي جهّز في ساحل بولاق في شهر رمضان سنة 827هـ/1423م مجموعة من الأمراء وزودهم بالأغربة، فساروا إلى طرابلس الشام، فجمعوا جميع الأغربة الموجودة في السواحل الشامية وشحنوها بالرجال المقاتلة والعدَّة والعتاد، وانطلقوا عبر البحر المتوسط في محاولة لردع القراصنة الصليبيين، وكانت هذه أوَّل غزاة في عهد السُّلطان برسباي[95].

3- **المجانيق**: أو المنجنيقات، واحدها منجنيق[96]؛ وهو آلة من الخشب الجيد، لها دفتان قائمتان بينهما عمود طويل يقال له السهم، رأسه ثقيل وذنبه خفيف، وفيه تجعل كفّة المنجنيق التي يجعل فيها الحجر يجذب حتى ترفع أسفله على أعلاه ثم يُرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفّة فيخرج الحجر منه، فما أصاب شيئًا إلا أهلكه[97].

وقد كان هذا السلاح الخشبي من الأسلحة التي استخدمت ضد العدو، وذلك منذ اعتلاء السلطان الظاهر بيبرس سدّة الحكم، حيث أشرف على إعداد آلات الحرب والقتال بنفسه، وهذا النوع من الأسلحة الثقيلة إما أن يكون صناعة محلية، وإما أن تكون من الغنائم التي حصل عليها المماليك من عدوهم، ومن ذلك ما كان في سنة 663هـ/1264م عندما وصلت الأخبار بأنَّ المغول حاصروا البيرة[98] ونصبوا عليها المجانيق الكبار -وكانت سبعة عشر منجنيقًا- فلما وصلت طلائع جيش المسلمين بالقرب من البيرة فرَّ المغول وتركوا المجانيق وآلات السلاح غنيمة لهم[99]. وفي العام نفسه، استخدم السلطان بيبرس المجانيق ضد الصليبيين في الشام، حيث شاركت المجانيق في استعادة قلعة قيسارية[100] في ذلك العام، إذ نُصبت حولها المجانيق وأخذت في قذفها بالنيران والحجارة حتى احترقت أبوابها وتهدمت أجزاؤها، وكانت قلعة قيسارية من أحصن القلاع وأمنعها[101]. وعندما علم السلطان بيبرس بحركة الصليبيين سنة 671هـ/1272م، اهتم بتحصين ثغور البلاد خاصة الإسكندرية التي تُعدُّ محط أنظار القبارصة، فنصّب على أسوارها مائة منجنيق[102].

وشاركت المجانيق المحلية الصنع في استرداد مدينة عكّا الصليبية على يدي السلطان الأشرف خليل بن قلاوون سنة 690هـ/1291م، فقد أمر بحضور كبار الأمراء من البلاد الشامية للمشاركة في هذا الاسترداد، ونبّه عليهم أن يحضروا معهم المجانيق الكبار، فنُصبت المجانيق على أطراف المدينة وقذفتها بالحجارة الكبيرة حتى أثرت في الأسوار والأبراج فتهدّمتْ[103]. وكان الملك المظفر[104] صاحب حماة قد شارك في استرداد عكّا وبصحبته منجنيق عظيم يسير على مائة عجلة يُعرف بالمنجنيق المنصور، نسبة إلى الملك المنصور[105] صاحب حماة ووالد الملك المظفر، فتمّ تفكيكه، وتم توزيع تلك القطع على الأمراء، فكل أمير عشرة يكون نصيبه عجلة واحدة وذلك لضخامته، هذا فضلًا عن المجانيق الصغار المحمولة، وقد عانى الجنود من حمل تلك القطع إلى عكا مشقة عظيمة بسبب ضخامتها، وكثرة هطول الأمطار والبرد، فأخذوا شهرًا كاملًا في المسير إلى عكا[106].

وعندما استفحل خطر الأرمن النصارى في بلاد سيس[107] في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، جردّ الأخير لها أكثر من تجريدة[108]، وكانت منها التّجريدة المجهّزة سنة 737هـ/1336م، حيث شاركت الصناعة المحلية في بناء الأسلحة الكبيرة في حجمها وأثرها، ومنها

المجانيق الضخمة، ورغم اختلاف الأمراء في قيادة هذه التجريدة، إلا أنهم شاركوا بالأسلحة الكبيرة – مثل المجانيق وغيرها – في تلك الغارات المتكرّرة بين الفينة والأخرى[109].

4- **الدّبابات:** دخلت صناعة الأخشاب في كثير من أدوات القتال والحرب، ومن ذلك صناعة الدبابة[110] المعروفة أيضًا بالزّحافة، إلّا أنَّ اسم الدبابة كان معروفًا ورائجًا في العصر المملوكي، وهي آلة حربية مصنوعة من الأخشاب، وسُميت بالدبابة من دبيبها على الأرض على مهل، وهي مكونة من أربع طبقات؛ أو أربعة أدوار، الطبقة الأولى منها مصنوعة من الأخشاب، والطبقة الثانية مصنوعة من الرصاص، والطبقة الثالثة مصنوعة من الحديد، والطبقة الرابعة مصنوعة من النحاس، ويتم تغطيتها بالجلود المخصصة لهذه الآلة من خلال نقعها بالخل لمنع احتراقها أثناء الحصار من قبل العدو، لأن العدو أثناء الحصار قد يستخدم النيران المقذوفة بالآلات – النار الإغريقية[111] – كما تقي تلك الجلود من السهام كذلك، وتقوم هذه الدبابة بحماية الفرسان بداخلها من السهام والمقذوفات من قبل العدو، وتتكون كذلك من مجموعة من العجلات حيث تسير ببطء وليسهل دفعها من قبل الفرسان المقاتلين إلى القرب من الحصون والأسوار، وهي مخصصة لحماية الجنود والنقابين الذين يختبؤون فيها لنقب الأسوار وكذلك للحفر تحت الأسوار وهدمها، وفي مقدمة الدبابة رأس مثبت يُعرف برأس الكبش له قرنان تقتصر مهامه على هدم الأسوار عن طريق دفع الآلة بقوة إلى السُّور[112].

وممَّا يجدر ذكره أنَّ الدبابة استخدمت في حصار قلعة قيسارية سنة 663هـ/1264م؛ وكان السلطان بيبرس يتنقل عبر الدبابة إلى الأسوار ليشرف على النقابين؛ وفي الخامس عشر من جمادى الأولى من العام نفسه سلم الصليبيون القلعة[113]، كما استخدمت الدبابة أيضًا سنة 737هـ/1336م، وذلك في الحروب التي شنها السلطان الناصر محمد بن قلاوون ضد نصارى أرمينيا الصغرى[114].

5- **الأبراج:** ومفردها برج، وهي من أنواع الأسلحة التي استُعملتْ في الحروب العسكرية ضد العدو، حيث استُخدمت في حصار الحصون والقلاع واقتحامها، وهي عبارة عن برج متحرك مصنوع من الخشب المغطى بالجلود أو الحديد، له عجلات خشبية أو معدنية، ويتكون من عدَّة طوابق، يربط بين هذه الطوابق دُرج داخلي صغير، فهو يشبه الدبابة من حيث الشكل ولكن يختلف عنها في المهام، وله سطح علوي يتسع لنصب المنجنيق، وبعض الأبراج مرتفع جدًا ليعلو الأسوار، وبداخله الجنود المقاتلون، ويدفع إلى الأسوار بعيدًا عن سهام العدو المباشرة، وقد خضعتْ الأبراج عبر الزمن لمجموعة من التطورات المتكررة[115].

ومن الأبراج العسكرية ما كان في عهد السُّلطان الأشرف برسباي، وتحديدًا في مطلع سنة 828هـ/1425م عندما اكتملت عمارة البرج الحربي على البحر المتوسط بالقرب من الطينة، إذ شُحن هذا البرج بالأسلحة والفرسان، وذلك لكثرة اعتداء قراصنة الصليبيين؛ وتخطفهم للناس أثناء مرورهم إلى العريش[116]، وكان الأمير زين الدين عبد القادر بن أبي الفرج هو من أشرف على بناء هذا البرج[117].

6- **السّتارة:** وتُعدُّ من الأدوات الدفاعية البحرية في الحروب، استعملها المماليك في حروبهم ضد خصومهم، وهي عبارة عن جدار من الصناعات الخشبية، أو الحبال، أو كليهما، ومن مهامها حماية السفن في البحر من هجمات العدو المعادية، كما استُخدمت في حماية النقابين أثناء نقب الأسوار، فضلاً عن حماية الجنود العاملين على رمي المجانيق وصيانتها[118]. ومن الأمثلة على استخدام الستارة؛ ما وقع سنة 737هـ/1336م أثناء حروب السلطان محمد بن قلاوون ضد أرمينيا الصغرى، خاصة عندما حاصرت القوات الإسلامية ميناء آياس، وعندها استحضر نائب حلب أكثر من خمسين نجارًا متخصّصًا في الصناعات الخشبية، فعملوا مجموعة من الأسلحة المتنوعة، كان منها صناعة ستارتين حربيتين، ثم ركب الرجال البحر وشدّدوا الحصار على الميناء حتى تسلموا آياس بعد حصار كبير[119]. ويبدو أنَّ الصُّناع والنجارين كانوا يرافقون الجيوش والتجاريد الحربية في كل مكان، حيث تُعدُّ جزءًا مهمًّا من القوات التي أعدها المماليك في حروبهم، وهي أشبه بسلاح الهندسة في وقتنا الحاضر.

7- **خزائن الأسلحة:** كان بناء خزائن الأسلحة يعتمد على الأخشاب، وتُعرف بالزّردخاناه، وكان يُشرف عليها أحد الأمراء تحت مسمى شادّ السّلاح خانه، وكان من مهامه الإشراف على الأسلحة العسكرية والحربية، وضمان وصول الأسلحة من مصادرها للخزانة، كما كان من مهامه أيضًا الإشراف على الصناعات والصُّنَّاع العاملين في هذه الخزانة[120].

## رابعًا. معوّقات الصناعة الخشبية:

أ- **الكوارث البشرية:** أسهمت الكوارث البشرية في تدمير الغطاء النباتي بصفة عامة، والأخشاب وأنواعها بصفة خاصة، لاسيما فيما يتعلق بالحروب والفتن الداخلية وما ينتج عنها من تدمير وعبث، فكانت الأخشاب تدخل في عمليات إدارة المعارك العسكرية كهدم المدن والأسوار، وإحراق القلاع والحصون، سواءً كان ذلك في مرحلة الدفاع أو الهجوم، وقد أفرد ابن منكلي (ت784هـ/1382م) أبوابًا في طريقة استخدام الأخشاب والانتفاع بها في الحروب في العصور الوسطى[121]، ومن الأمثلة التاريخية عمّا تعرّضتْ لها الثروة الغابية من دمار بسبب الحروب، ما كان

في سنة 661هـ/1262م عندما حاصر السلطان الظاهر بيبرس مدينة عكّا الصليبية من جهة البرّ؛ وشدَّد الحصار على البرج القريب من المدينة، ولما استعصى عليه اقتحام المدينة لمناعتها، أمر بإحراق ما حولها من الأخشاب، فقُطعتْ الأشجار ثم رحل عنها[122]، وفي هذا يقول ابن عبد الظاهر: "وحرق الناس ما حول عكّا من الأبراج والأسوار، وقطعوا الأشجار، وحرقوا الثمار، فلا يرى الناس إلَّا دخانًا"[123]. ويمكن القول إنَّ هذه الأشجار كانت تستخدم في صناعة السلاح بأنواعه المختلفة، وقطعها وإحراقها يزيد من الطلب على الأخشاب، وإن كانت هذه الطريقة المستخدمة تُعدُّ من أنواع القتال المستخدمة في العصور الوسطى، سواء من قبل دولة المماليك أو من الصليبيين والمغول والأرمن وغيرهم.

ومن الكوارث البشرية التي أدَّت إلى تدمير الأخشاب ما خلفته الحروب الطاحنة بين قوات المماليك والقوات الصليبية في البلاد الشامية، فقد كانت الهجمات العسكرية مستمرة بين الطرفين، وكانت الأشجار عُرضة للقطع والإحراق في محاولة لمنع أي طرف من استغلالها في الصناعات العسكرية المتنوعة، كالسُّفن الحربية أو الرِّماح أو المجانيق وغير ذلك؛ ومن أمثلة ذلك أن السلطان الظاهر بيبرس عندما بدأ في تصفية الوجود الصليبي في المنطقة، هاجم بقواته إمارة أنطاكية الصليبية مطلع شهر رمضان سنة 666هـ/1268م، فاقتحمت القوات المملوكية أسوار المدينة، وانتهتْ العملية العسكرية بسقوط الإمارة الصليبية، فبعث بخطاب إلى أميرها الصليبي – المقيم حينها في مدينة طرابلس الشام – بيَّن فيه ما حلَّ بالإمارة الصليبية — أنطاكية – ووصف الحال فيها بعد أن دمّرتها القوات المملوكية، وأشار إلى ما حلَّ بالأشجار من دمار واستئصال، وكان ممّا ورد في هذا الخطاب قوله: "...، وكيف قُطعت الأشجار ولم يُترك إلَّا ما يصلح لأعواد المجانيق – إن شاء الله – والستائر، ..."[124].

ومن الكوارث البشرية التي ألحقت الضرر بالثروة الخشبية ممثّلة في السفن بأنواعها، ما كان يقوم به القراصنة الصليبيون في عرض البحار من مهاجمة السفن الإسلامية، ومثال ذلك ما وقع ضد سفينة حربية مملوكية جهة ساحل اللاذقية سنة 828هـ/1425م، وهو العام الذي كثرت فيه قرصنة الصليبيين انطلاقًا من جزيرة قبرص ضد سواحل مصر وبلاد الشام، وكان المركب المملوكي يحمل خمسين فارسًا، وكان متّجهًا إلى مصر بعد إعلان النفير حول إعداد الأغربة والأدوات الحربية لمواجهة الصليبيين بعد أن كثُرت الإشاعات بحركة القبارصة لمهاجمة الثغور الإسلامية، وعندما وصل المركب بالقرب من جزيرة أرواد باغته القراصنة، فتقاتلا الطرفان قتالاً شديدًا، وقُتل الفرسان عن آخرهم[125].

كذلك، فإن من الكوارث البشرية التي أدَّت إلى انقراض كثير من الأشجار المثمرة وغير المثمرة، ما كان يُعرف بالقطع الجائر للأشجار، سواءً كان ذلك القطع من طرف العامة من الناس لاستخدام الخشب لضروريات حياتهم اليومية، أو من طرف الأمراء الذين يمثلون السلطنة في محاولة منهم لجميع الأخشاب المطلوبة لصناعة السفن وأنواع السلاح المعتمد في صناعته على المادة الخشبية، وكان الاحتطاب الجائر أكثر ما يكون في الوجه القبلي من الديار المصرية، ولهذا شدّدتْ السلطة المملوكية من إجراءات الرقابة في هذه المنطقة، ويذكر صاحب المواعظ والاعتبار أنَّ شجر السّنط كان لا يُتصرف فيه إلَّا عن طريق الديوان، وقد جرت العادة ألَّا يُقطع من البهنسا إلَّا ما يؤخذ لحطب النار، أو ما زاد عن حاجة المصالح السلطانية، غير أنَّ الأيادي استولت على تلك الثروة، «فبطُل هذا – الرقابة– جميعه، واستولت الأيدي على تلك الأشجار، فلم يبق منها شيء البتة»[126]. وقد سبقت الإشارة إلى أن التّجهيز المملوكي لغزو جزيرة قبرص سنة 828هـ/1425م بصناعة المزيد من السفن الحربية المتنوعة، قد تسبّب في إهدار ثروة غابية كبيرة في البلاد الشامية بسبب القطع غير المنظم للأشجار[127].

ومن المعوقات التي وقفت أمام صناعة الأخشاب ما كان بسبب قوانين المنع التي أصدرها البابا في روما بتحريم التجارة؛ وتصدير السلع والمتاجر إلى البلاد الإسلامية – الحصار الاقتصادي– فقد قرّر البابا "نقولا الرابع" بعد سقوط عكّا في أيدي المسلمين سنة 690هـ/1291م، تحريم نقل التجارة إلى البلاد الإسلامية، وأصدر عقوبة الحرمان لمن يخالف القرار من تجار النصارى[128]. ومنها كذلك ما أصدره البابا "كليمنت السادس"، غير أن الأخير أصدر قرارًا يستثني فيه المتاجرة مع المسلمين لمدة خمس سنوات بسبب ما لحق بالبندقية من ضرر تجاري، مع بقاء التحذير العام من نقل الأخشاب والأسلحة والحديد وأدوات الحرب إلى المسلمين[129]. وكان الهدف الأبعد لتلك القرارات التي اتخذها المقر البابوي من تحريم المتاجرة مع المسلمين، هو حرمان المماليك من استيراد المواد الخام من أوربا ومن ثمَّ إضعافها اقتصاديًا وعسكريًا، إلَّا أنَّ تلك القرارات سرعان ما ذهبت أدراج الرياح، رغم تنفيذها تحت قوة السلاح عندما أرسل المقرّ البابوي سفن حربية لمراقبة التجارة البحرية مع المسلمين[130].

وما يجدر ذكره، أنَّ البنادقة – المقرّبين من المقرّ البابوي – كانت علاقتهم بسلاطين دولة المماليك تتراوح بين العداء والمهادنة، إذ تمثل عداؤهم في مساندة ومساعدة القراصنة في الهجوم على سفن المماليك في عرض البحر المتوسط، ومساندتهم فرسان الإسبتارية[131] في الهجوم الذي نفذوه في جمادى الآخرة سنة 916هـ/أغسطس سنة 1510م على الأسطول المملوكي المحمل بالأخشاب؛ وآلات الحرب بالقرب من قلعة آياس، وهو ما تسبّب في مقتل قائد الأسطول المملوكي

الأمير محمد بك – وكان من أقارب السلطان الظاهر قانصوه الغوري[132] – والاستيلاء على الأسطول بما فيه من ممتلكات[133].

ب– **الكوارث الطبيعية**: أو الآفات السّماوية – كما سمّاها المقريزي[134] – لها مفعولها السّيئ والخطير في المجتمع على جميع الأصعدة، ولا تقلّ خطورة عن الكوارث البشرية، كالرياح والسيول والحرائق والجراد وغيرها، وقد أسهمت هذه الكوارث في نُدرة الأخشاب الصالحة لصناعة السفن الحربية، وبعض الأسلحة وتسبّبتْ في تعطيل تلك الصناعة؛ ومن أبرز الأمثلة التاريخية على ذلك:

1– الشُّعب المرجانية: ومن الأمثلة على ذلك: الهجوم المملوكي البحري على جزيرة قبرص سنة 669هـ/1270م والذي تسبّب في تحطّم معظم المراكب الحربية بسبب تلك الشُّعب؛ فعندما أشرف الأسطول على الميناء القبرصي ليلًا، اصطدم المركب بالشُّعب المرجانية فتكسر، وتبعته الشواني الأخرى فتحطمت أمام الميناء عن آخرها، وبلغتْ الخسائر إحدى عشرة شونة؛ ووقع رجال الأسطول في الأسر[135]، ورغم هذه الخسارة الفادحة، فقد أمر السلطان بيبرس بإحضار خمس شواني من ميناء مدينة قوص[136]، وأمر بإنشاء عشرين شونة أخرى، ولازم دار الصناعة حتى أنجزت عملها، واحتُفل بذلك الإنجاز العظيم في شهر محرم سنة 671هـ/1369م[137].

2– شدّة الرياح: ومن الأمثلة كذلك – وإن كان أقلّ خسارة من المثال السابق – ما كان في عهد السلطان محمد بن قلاوون عندما تحطم مركب أثناء استعراضه أمام السلطان بسبب شدة الرياح، ممَّا جعل السُّلطان يجهز مركبًا آخر للمشاركة في غزو جزيرة أرواد[138].

3– السيول الجارفة: يُعدُّ النزول الغزير للأمطار وكثرتها، إلى جانب نزول البَرَدْ، من الكوارث الطبيعية التي أسهمت في ندرة الأخشاب، ومن ذلك ما وقع سنة 765هـ/1373م عندما تسببت كثرة الأمطار؛ ونزول البَرَدْ؛ وجريان السيول، في تدمير الغطاء النباتي في الشام ممَّا تسبب في اقتلاع الأشجار؛ وقطع الطرقات[139].

4– ظهور الجراد: ومثال ذلك ما ذكرهُ القلقشندي في حوادث سنة 770هـ/1368م من أنَّ الجراد ظهر في بلاد الشام بأعداد كبيرة، فزاد في حوران[140] وأكل الشجر، وأتلف الخشب، وأتى على أبواب الدور وقرضها، ودخل الجامع والناس في صلاة الجمعة، وأشغل المصلين من كثرته، فقام العامة بالتحرز على أعين الماء حتى لا يفسدها، وعندما وصل إلى عجلون أغلقت الأسواق أبوابها، وسدَّت الأبواب أمامه، وأشغل الناس، ولم تشهد الشام مثله[141].

5– الحرائق المصحوبة بالرّياح: ذكر ابن تغري بردي أنَّ "من الحوادث التي لم يُسمع بها من قبل ولم يشاهد مثلها في عصره، ما كان في شهر رجب سنة 862هـ/1457م عندما اندلعت نار

عظيمة في ساحل بولاق، قيل إنها بسبب صاعقة من السماء، وقيل نار انبثقت من جوف الأرض، وقيل نار من السماء، ولم يختلف عليها أنها آفة سماوية نزلت على الساحل، وأسهمت الريح في توهجها وارتفاع لهبها، وعجز الناس عن إخمادها، فأحرقت الأفران والدور والحوانيت والمخازن، وأحرقت الحواصل وكل ما أتتْ عليه، وهبت ريح عظيمة فاقتلعت الأشجار وهدمت المباني، وأجَّجت النار؛ وساعدت في توسعها، ولم يستطع الناس أن يفعلوا شيئًا أمام هذه الكارثة العظيمة"[142].

## خامسًا. أثر صناعة الأخشاب على النشاط العسكري في دولة المماليك:

دخلت صناعة الأخشاب في الأسلحة بأنواعها، ودخلت هذه الأسلحة في حروب سلاطين المماليك ضد خصومهم، خاصة الصليبيين منهم، وهو ما كان له أجمل الأثر في التقدم الصناعي من جهة، وفي تصفية الوجود الصليبي من جهة أخرى؛ فقد حاول السلطان الظاهر بيبرس غزو جزيرة قبرص سنة 669هـ/1270م بأسطول حربي من الصناعة المملوكية الخالصة، إلَّا أن الأسطول تحطم مقابل السواحل القبرصية بسبب الشُّعب المرجانية[143]. وأما السلطان الأشرف خليل بن قلاوون فعندما تحرّك لتحرير عكّا من الصليبيين سنة 690هـ/1291م، أمر النواب في الشام بتجهيز آلات الحرب والقتال، ومن هذه الآلات المستخدمة في الحصار والمشاركة في الحرب المجانيق الكبيرة التي أثَّرت في الأبراج والأسوار هدمًا، حيث ذكر الأمير والمؤرخ المملوكي بيبرس الدوادار – الذي كان بالكرك[144] حينها – بأنَّ المرسوم ورد إليه بتجهيز الآلات والزردخانات وكذلك الرجال، وكان بيبرس الدوادار ممّن شارك في استرداد عكا، وذكر أن الفرصة لاحتْ أثناء الحصار في أحد الأبراج الذي أثّرت فيه ضرابات المجانيق، فتخلخلتْ تلك النقطة الدفاعية ممّا سمح للقوات الإسلامية بالدخول إلى المدينة المحاصرة[145].

ومن خلال تتبع المعارك التي خاضها سلاطين المماليك، يتبيَّن لنا أنَّ تلك الغزوات لا تخلو من استخدام الأخشاب في إشعال النار في ممتلكات العدو، مثل الأبراج والقلاع والمحاصيل، أو ردم الخنادق والطرقات للعبور، ومثال ذلك حادثة استرداد مدينة عكا المذكورة سالفًا؛ فعندما قامت القوات المملوكية بحصار المدينة ومن ثمَّ محاولة اقتحامها، أدركت هذه القوات أن الصليبيين المدافعين عن المدينة قاموا بحفر خندق بين أسوار المدينة لمنع وعرقلة القوات الإسلامية أثناء الاقتحام، فعمل المماليك على ردم هذا الخندق بالأخشاب والتراب حتى يكون الطريق سالكًا للعبور، وهو ما أعجب به السُّلطان الأشرف خليل، كما كان لهذه الأخشاب دور في إحراق أبراج المدينة التي سقطت واحدة تلو الأخرى[146]، وعندما تساقطت أبراج المدينة، وتهدمت أسوارها، نَظَم أحد

المشاركين في هذه المعركة قصيدة يصف فيها تساقط الأبراج بسبب إشعال النار في الأخشاب، وكان مما قاله:

مررتُ بعكّا بعد تخريب سورِها وزندُ أوار النار في وسطها وارِ
وعاينتُها بعد التّنصر قد غدتْ مجوسيّة الأبراج تسجُد للنارِ[147]

ومن آثار صناعة الأخشاب على النشاط العسكري، سواء كان ذلك أثرها في الأسلحة الكبيرة مثل المجانيق والدبابات، أو الأخشاب نفسها في إشعال الحرائق، والجهود التي قام بها فرسان المماليك في استرداد عكّا، أنَّ الصليبيين هابوا سطوة السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، وخشوا نقمة قواته العسكرية، وطلبوا النجاة، واتفقوا على تسليم ما تبقّى من بلاد الساحل للمسلمين، فخرجوا منها صاغرين، وتسلمها السلطان وقواته، ورفعت الرايات الإسلامية عليها دلالة على خضوعها للمسلمين، ودخولها تحت نفوذ سلطنة المماليك[148].

## الخاتمة:

من خلال عرض طبيعة صناعة الأخشاب – لاسيما الصناعة الحربية منها – خلال العصر المملوكي وأثر تلك الصناعة على النّشاط العسكري، نستعرض فيما يلي أهمّ النتائج التي أمكن الوصول إليها في هذا البحث، إلى جانب بعض التوصيات:

- اعتمد المماليك في الحصول على الأخشاب الضرورية لصناعاتهم الحربية على أخشاب الغابات المحلية بالشام ومصر، وعلى الاستيراد من الخارج لإكمال النقص في هذه المادة.
- تنوعت الأشجار التي دخلتْ في الصناعة الخشبية المملوكية بين أشجار الصنوبر، والأرز، والعرعر، والخروب، والجميز، والسّنط، والحور المحلية، وأشجار الصندل، والسّاج، والأبنوس، والبنج المستوردة، وغيرها.
- وضعتْ السلطة المملوكية رقابة صارمة على الغابات والأسواق التجارية بقصد الحفاظ على الثروة الخشبية، وكان المحتسب وشادّ المراكب وأرباب السيوف من أبرز المسؤولين عن تنفيذ هذه الرقابة، وقد أتبع المماليك تلك الرقابة بعقوبات صارمة على المخالفين.
- أسّستْ السلطة المملوكية دُورًا للصناعة العسكرية الخشبية، سواء على ساحل البحر المتوسط؛ أو على ضفة نهر النيل، وكان أشهرها: الدار التي على ساحل بولاق في مصر، والدار التي في ميناء طرابلس الشام.
- كان مِن أبرز المعوقات التي عطّلتْ صناعة الأخشاب المحلية الاحتطابُ الجائر والتجارة غير المشروعة، هذا فضلاً عن الكوارث البشرية المتمثّلة في الحروب وانتهاج سياسة الأرض المحروقة خلالها، إلى جانب بعض الكوارث الطبيعية كالحرائق، والرياح الشديدة، والسيول الجارفة، والجراد المكتسح، وغيرها من الآفات البيئية.
- من معوقات صناعة الأخشاب المملوكية نشاط القراصنة الصليبيين في عرض البحار والسواحل ومهاجمتهم السفن والأسواق ودور الصناعة المملوكية، وكذلك قرار حرمان البابوية في منع تصدير المواد الصناعية الخام – ومنها الأخشاب – إلى البلاد الإسلامية.
- شارك الأسطول الحربي في العديد من الحملات العسكرية الناجحة ضد الصليبيين خاصة، مثل استرداد عكّا سنة 690هـ/1291م، واقتحام جزيرة قبرص، وأسر ملكها سنة 828هـ/1425م.

- من أنواع السُّفن الحربية المملوكية سفن "الشواني"، وسفن "الشكِّير"، وسفن "الطرائد"، "الدّغليس"، وسفن "الحراريق"، وسفن "القراقير"، وسفن "الشّلنديات"، وغيرها كثير.
- من أنواع الأسلحة المستخدمة مثلًا، نجد المجانيق، والدّبابات، والأبراج المتحرّكة، والسّتارات، والسّهام، وغيرها من الأسلحة الهجومية والدفاعية.
- كان من أبرز آثار صناعة الأخشاب على النشاط العسكري تصفيةُ الوجود الصليبي في الشام.

التوصيات:

- وجوب المحافظة على الغطاء النباتي في البلاد الإسلامية بشكل عام، والغابات التي تكثر فيها الأشجار الجيدة للصناعات الخشبية بشكل خاص.
- ضرورة منع الاحتطاب الجائر بفرض رقابة صارمة على الغابات، وسنّ قوانين رادعة ضد المخالفين.
- نشر الوعي الفكري والثقافي حول أهمية الغابات المتنوعة في التوازن البيئي والمناخي.
- تشجيع زراعة الأشجار، وتعويض النقص الذي أتلفته الكوارث الطبيعية، أو البشرية.
- تنظيم النشاط السياحي المتعلّق بالغابات؛ وذلك بإقامة المتنزهات والحدائق، مع وضع إجراءات لحمايتها من الحرائق وعبث الزوار.

## الملحق الأول

أحد أنواع المنجنيقات المستخدمة في العصر المملوكي

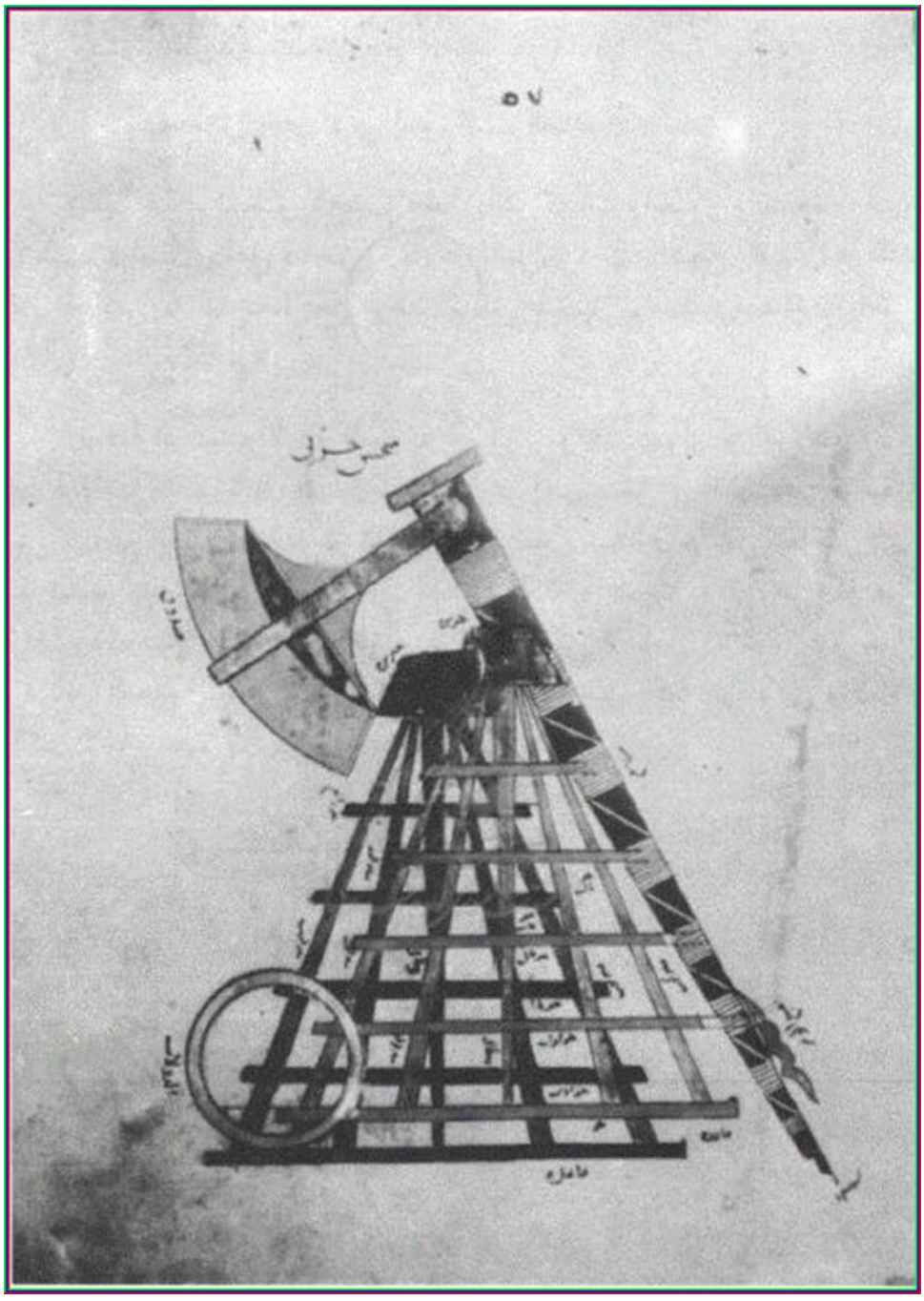

(عن ابن أرنبغا: الأنيق في المجانيق، ص67)

## الملحق الثاني

دبابات وآلات كبش تُجرّ على عجلات تُستخدم لنقب الأسوار والحصون

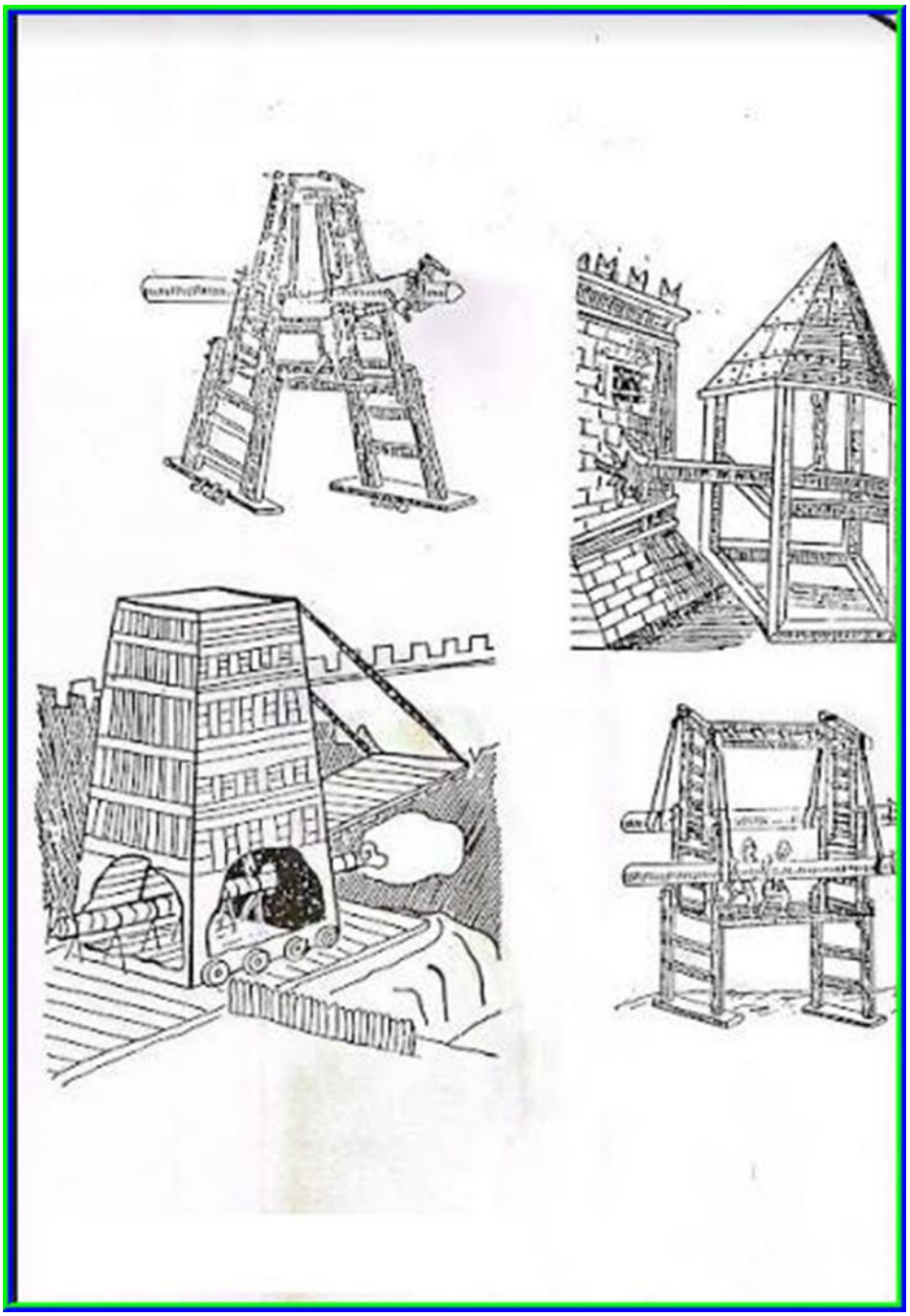

(عن ابن منكلي: كتاب الحيل في الحروب، ص332)

## الملحق الثالث

نص الخطاب الذي أرسله السلطان الظاهر بيبرس في رمضان سنة 666هـ/1268م إلى أمير أنطاكية الصليبية بوهيموند السادس – وكان مقيمًا بطرابلس الشام – يُخبره بسقوط إمارته بأيدي المسلمين.(149)

"...، وفتحناها بالسيف في الساعة الرابعة من يوم السبت رابع شهر رمضان، وقتلنا كل من اخترته لحفظها والمحاماة عنها، وما كان أحد منهم إلا وعنده شيء من الدنيا، فما بقي أحدٌ منّا إلا وعنده شيء منهم ومنها، ولو رأيت خيّالتك وهم صرعى تحت أرجل الخيل، وديارك والنّهابة فيها تصول، والكسّابة فيها تجول، وأموالك وهي توزن بالقنطار، وداماتك وكل أربع منهن تباع، فتشترى من مالك بدينار.

ولو رأيتَ كنائسك وصلبانها قد كسرت ونشرت، وصُحفها من الأناجيل المزورة قد نثرت، وقبور البطارقة قد بعثرت، ولو رأيت عدوك المسلم وقد داس مكان القداس والمذبح، وقد ذبح فيه الراهب والقسيس والشماس، والبطارقة وقد دهموا بطارقة، وأبناء الملوك وقد دخلوا فى المملكة.

ولو شاهدتَ النيران وهي في قصورك تخترق، والقتلى بنار الدنيا قبل الآخرة تحترق، وقصورك وأحوالها قد حالتْ، وكنيسة بولص وكنيسة القسيان قد زلّت كل منها وزالتْ، لكنتَ تقول: يا ليتني كنت ترابًا، ويا ليتني لم أوت بهذا الخبر كتابا، ولكانت نفسك تذهب من حسرتك، ولكنتَ تطفي تلك النيران بماء عبرتك.

ولو رأيتَ مغانيك وقد أقفرت من معانيك، ومراكبك وقد أخذت في السويدية بمراكبك، فصارت سوانيك من شوانيك، لتيقنت أن الإله الذي أعطاك أنطاكية منك استرجعها، والرب الذي أعطاك قلعتها منك قلعها، ومن الأرض اقتلعها. ولتعلم أنا قد أخذنا بحمد الله منك ما كنت أخذته من حصون الإسلام، وهو دير كوش، وشقيف تلميس، وشقيف كفردنين، وجميع ما كان من بلاد أنطاكية، واستنزلنا أصحابك من الصياصي وأخذناهم بالنواصي، وفرقناهم فى الداني والقاصي، ولم يبق شيء يطلق عليه اسم العصيان إلا النّهر، فلو استطاع لما سُمّي بالعاصي، وقد أجرى دموعه ندمًا، وكان يذرفها عبرة صافية، فهو أجراها بما سفكناه فيه دمًا.

وكتابنا هذا يتضمن البشرى لك بما وهبك الله من السلامة وطول العمر، بكونك لم تكن لك في أنطاكية في هذه المدة إقامة، وكونك ما كنتَ بها فتكون إما قتيلاً، وإما أسيرًا، وإما جريحًا، وإما كسيرًا، وسلامة النفس هي التي يفرح بها الحيّ إذا شاهد الأموات، ولعلّ الله ما أخرك إلاّ لأن تستدرك من الطاعة والخدمة ما فات.

ولما لم يسلم أحدٌ يخبرك بما جرى خبّرناك، ولما لم يقدر أحد يباشرك بالبشرى بسلامة نفسك وهلاك ما سواها باشرناك بهذه المفاوضة وبشّرناك؛ لتتحقق الأمر على ما جرى، وبعد هذه المكاتبة لا ينبغي لك أن تُكذب لنا خبرًا، كما أن بعد هذه المخاطبة يجب أن لا تسأل غيرها مخبرًا".

## حواشي البحث:

* الأستاذ المشارك بقسم التاريخ والحضارة – كلية اللغة العربية والدراسات الإنسانية.

(1) دانيال الراهب: وصف الأرض المقدسة في فلسطين، نقله إلى العربية وعلق عليه: سعيد البيشاوي وداود أبو هدبة، دار الشروق، ط1، 2003م، ص62.

(2) الخليل: قرية جنوب القدس من عمل فلسطين. ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626هـ/1228م): معجم البلدان، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، (212/2).

(3) دانيال الراهب: وصف الأرض المقدسة في فلسطين، ص78.

(4) بحيرة طبرية: وتُعرف أيضًا ببحر الجليل، أو بحيرة الجليل؛ من أعمال الأردن، تقع في شمالي فلسطين، فُتِحت صلحًا على يد شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه سنة 31هـ/651م على أنصاف منازلهم وكنائسهم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (17/4).

(5) دانيال الراهب: وصف الأرض المقدسة في فلسطين، ص100.

(6) الزوكة: محمد خميس: جغرافية العالم العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2000م، ص129.

(7) القلقشندي: أحمد بن عليّ الجمالي (ت821/1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، (د.ط)، 1981م، (114/4).

(8) الحسيني، محمد عبد الرحمن (ت780هـ)، تاريخ صفد، من ملاحق عربية ولاتينية مترجمة، تحقيق وتقديم: سهيل زكار، ط1، دمشق، دار تكوين، 2009م، ص118.

(9) هو الملك الظاهر أبو الفتوح ركن الدين بيبرس بن عبد الله العلائي البندقداري الصالحي النجمي الجركسي، تولّى السلطنة بعد مقتل قطز سنة 658هـ/1259م. توفي بدمشق في المحرم سنة 676هـ/1276م. انظر: ابن عبد الظاهر: عبد الله بن رشيد الدين السعدي (ت692هـ/1292م): الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، الرياض، ط1، 1396هـ/1976م، ص45 وما بعدها؛ الصفدي: خليل بن أيبك المصري (ت764هـ/1362م): أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: عليّ أبو زيد وآخرين، دار الفكر، دمشق، ط1، 1998م، ص322.

(10) هو هيثوم الأول بن قسطنطين الأرمني؛ ملك أرمينيا الصغرى، تولّى الملك سنة 621هـ/1224م، تحالف مع المغول ضد المسلمين. اعتزل الملك لصالح ابنه ليون الثالث سنة 667هـ/1269م، توفي سنة 669هـ/1271م. انظر: المقريزي: أحمد بن عليّ القاهري (ت845هـ/1441م): السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، (69/2).

(11) هو بوهيموند السادس. أمير إمارة أنطاكية؛ وكونت طرابلس. تولى الحُكم سنة 650هـ/1252م. مات بطرابلس سنة 674هـ/1275م. انظر: ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص311–313.

(12) رانسيمان: ستيفن: تاريخ الحملات الصليبية (مملكة عكا والحملات الصليبية المتأخرة)، ترجمة: نور الدين

خليل، الإسكندرية، (د.ط)، 1998م، (378/3)؛ طقوش: محمد سهيل: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت، ط1، 1997م، ص132؛ واترسون: جيمس: فرسان الإسلام وحروب المماليك، تقديم: جون مان، ترجمة: يعقوب عبد الرحمن، المركز القومي، القاهرة، ط1، 2011م، ص137.

(13) أنطاكية: مدينة كبيرة هي قصبة العواصم من الثغور الشامية، تقع جنوب تركيا، وتتبع لواء الإسكندرونة، بينها وبين الحدود السورية مسافة 35 كيلاً. استعادها السلطان بيبرس سنة 666هـ/1268م. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (267/1–266).

(14) تقع جزيرة قبرص في بحر الروم؛ مقابل البلاد الشامية. انظر: أبو الفداء: تقويم البلدان، ص143.

(15) هو الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون. لمزيد من المعلومات انظر: ابن حجر: أحمد بن عليّ العسقلاني (ت852هـ/1449م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، طبعة حيدر آباد، الهند، 1350هـ، تصوير: دار الجيل، بيروت، (د.ط)، (299/2)؛ ابن تغري بردي: يوسف بن عبد الله الأتابكي (ت874هـ/1469م): الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وتحقيق التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط1، 1979م، (343/1).

(16) الشواني: جمع شونة؛ وهي المركب المعد للجهاد في البحر، وتُطلق الكلمة عمومًا على السفن الحربية الكبيرة، وكانت من أشهر السُّفن الحربية ذات الحجم الكبير، وهي من أهم القطع الحربية في الأسطول المملوكي. النخيلي: درويش: السفن الإسلامية على حروف المعجم، مطبعة جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، (د.ط)، 1974م، ص83؛ ماهر: سعاد: البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، دار المجمع العلمي، جدة، (د.ط)، 1399هـ/1979م، ص352.

(17) ابن تغري بردي: يوسف بن عبد الله الأتابكي (ت874هـ/1469م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبع وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، (30/11).

(18) صيدا؛ أو صيداء: مدينة جليلة على ساحل البحر المتوسط، من أعمال دمشق، شرقي مدينة صور. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (470/3).

(19) القلقشندي: صبح الأعشى، (115/4).

(20) هو الملك الناصر محمد بن قلاوون بن عبد الله الجركسي. أكبر سلاطين المماليك بمصر والشام. تولّى السلطنة سنة 693هـ/1293م ولكن بشكل اسمي فقط لأكثر من عشرين سنة، ولم يتولها فعليًّا إلا بعد قتله للأمير بيبرس الجاشنكير، فدانت له البلدان وراسله الملوك. توفي بالقاهرة سنة 741هـ/1340م. انظر: الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ص518؛ ابن كثير: إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت774هـ/1372م): البداية والنهاية، تحقيق: عليّ شيري، فهرسه: عبد الرحمن الشامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، (222/14).

(21) هو الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين برسباي بن عبد الله الدقماقي الظاهري الجركسي. ترقّى في المناصب العسكرية والإدارية إلى أن تسلطن سنة 825هـ/1421م. قام بغزو قبرص وافتتاحها وأسر ملكها سنة 829هـ/1425م. توفي بالقاهرة سنة 841هـ/1437م. انظر: المقريزي: السلوك، (440/3)؛ ابن تغري بردي:

يوسف بن عبد الله الأتابكي (ت874هـ/1469م): مورد اللطافة في من ولّي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1997م، (151/2).

(22) المقريزي: السلوك، (112/7).

(23) الأغربة: جمع غراب؛ تحتوي على مائة وأربعين مجدافًا. انظر درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم، ص83.

(24) المقريزي: السلوك، (112/7).

(25) هو شرف الدين عبد الوهاب ابن تاج الدين فضل الله القبطي المصري، المعروف بالنّشو. ناظر الخاص للسلطان الناصر محمد بن قلاوون. مات في ربيع الآخر سنة 740هـ/1339م. انظر: الصفدي: خليل بن أيبك المصري (ت764هـ/1362م): الوافي بالوفيات، تحقيق: دوروتيا كرافولسكي، نشر: فرانز شتايز، شتوتغارت، (د.ط)، 1411هـ/1991م، (211/8)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (218/2).

(26) هي أم آنوك خوند طغاي بنت عبد الله الجركسية. انظر: الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ص628؛ ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (221/2).

(27) المقريزي: السلوك، (215/7–214).

(28) المقريزي: أحمد بن عليّ القاهري (ت845هـ/1441م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، (207/1).

(29) المصدر نفسه، (208/1).

(30) العلايا؛ أو العلائية: بلدة صغيرة على ساحل البحر المتوسط – بحر الروم – وهي في الإقليم الخامس من بلاد الروم، وجنوب أنطاليا، سُمّيت العلايا نسبة إلى الملك علاء الدين السلجوقي، وهي كثيرة المياة والبساتين. انظر أبو الفداء: تقويم البلدان، ص380 – 381.

(31) ابن بطوطة: محمد بن عبد الله الطنجي (ت777هـ/1376م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف برحلة ابن بطوطة، تحقيق: علي المنتصر، دار الرسالة، بيروت، ط4، 1984م، (311/1–312).

(32) الأبنوس: شجر ينبت في الحبشة والهند، خشبه أسود صلب. الزيات: مصطفى إبراهيم وحامد عبد القادر ومحمد النجار: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 1425هـ/2004م، (4/1).

(33) الصّندل: كلمة فارسية معربة، طيب الرائحة. مصطفى الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، (525/1).

(34) السّاج: نوعٌ من الخشب يكثر بجنوب شرقيّ آسيا حيث يُجلب معظم خشب السّاج المُستعمل في العالم. مصطفى الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، (460/1).

(35) هو الملك المنصور سيف الدين قلاوون بن عبد الله الصالحي الألفي الجركسي. تولى الحكم سنة 678هـ/1279م، حارب المغول والصليبيين. مات بالقاهرة سنة 689هـ/1290م. ابن تغري بردي: مورد اللطافة في من وُلّي السلطنة والخلافة، (37/2).

(36) ذكر ابن الفرات (ت807هـ): أنَّ مضمون الكتاب السلام والدعاء للسلطان المملوكي ... إلخ. لمزيد من

المعلومات انظر: ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات، تحقيق: قسطنطين زريق، جامعة بيروت الأمريكية، بيروت، 1942م، (261/7)؛ كما ذكر القلقشندي (ت821هـ) في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشا (78/8) أنه لم يقف على نسخة من هذه المكاتبة؛ وإنما رأى ذلك في تذكرة محمد بن مكرم التي جمعها من وقائع ديوان الإنشاء بالديار المصرية. لمزيد من المعلومات حول نوع الكتاب، وشكله، ومحتواه؛ انظر: المصدر السابق، (78/8– 79). كذلك انظر: المشهداني: ياسر عبد الجواد: العلاقات المصرية الهندية في العصر المملوكي، المكتب العربي، القاهرة، ط1، 2015م، ص44.

(37) المقريزي: المواعظ والاعتبار، (377/1).

(38) مدينة كبيرة من بلاد الفرنج، تعد قاعدة الجنويين بالإقليم الخامس، غربي بلاد البيازنة. لمزيد من المعلومات حول مدينة جنوة؛ انظر: أبو الفداء: تقويم البلدان، ص209.

(39) تقع على طرف الخليج المعروف بجون البنادقة، وتعد من أهم موانى أوربا التجارية زمن الحروب الصليبية، وهي قاعدة البنادقة، ومن أهم الجمهوريات الإيطالية في تصدير الأخشاب. انظر: أبو الفداء: تقويم البلدان، ص211.

(40) بيزا: تقع غربي بلاد الروم، ليس لها ملك، وتعد قاعدة البيازنة الإفرنج. لمزيد من المعلومات حول مدينة بيزا؛ انظر: أبو الفداء: تقويم البلدان، ص208.

(41) ماجد: عبد المنعم: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر؛ دراسة شاملة للنظم السياسية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1979م، (190/1).

(42) زيتون: عادل: العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار دمشق، دمشق، ط1، 1980م، ص178.

(43) المرجع نفسه، ص197.

(44) أبو الفداء: الملك المؤيد إسماعيل بن عليّ الأيوبي (ت732هـ/1331م): تقويم البلدان، تحقيق: رينود، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1907م، ص242.

(45) البابا تقولا الرَّابع: أو نكولا الرابع، كان راهبًا فرنسسكانيًّا، عمل مبعوثًا للبابا غريغوري العاشر في اليونان، وفي سنة 686هـ/1288م خلف البابا هونريوس الرابع على كرسي البابوية، بعد سقوط مدينة عكا الصليبية سنة 690هـ/1291م سعى إلى إعادة استئناف الحروب الصليبية على المشرق الإسلامي. مات في روما سنة 691هـ/1292م. لمزيد من المعلومات انظر: خوان داثيو: معجم البابوات، نقله إلى العربية: أنطوان سعيد، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص137.

(46) عادل زيتون: العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص199.

(47) دراج: أحمد السيد: المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، 1961م، ص7–8.

(48) عادل زيتون: العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص214.

(49) المرجع نفسه، ص218.

(50) عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، (190/1).

(51) المقريزي: المواعظ والاعتبار، (208/1–207).

(52) المحتسب: وهو الذي يقوم بأعمال الحِسْبة؛ وهي وظيفة دينية تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام على أمر الأسواق ومراجعتها بضبط الموازين والمكاييل وسائر أمور التجارة، ومنع الغش فيما يباع ويشترى فيها، بجانب المحافظة على آداب الشرع والسلوك العام ومؤاخذة الخارجين عليه. الماوردي: عليّ بن محمد البغدادي (ت450هـ/1058م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، (د.ط)، 1973م، ص240؛ رضا: أحمد: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، 1377هـ/1958م، (83/2).

(53) ابن الأخوة: محمد بن أحمد القرشي (ت729هـ/1328م): معالم القُربة في أحكام الحِسْبة، تحقيق: محمد محمود وأحمد المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1976م، ص324.

(54) القشّاشون: واحده قشّاش، وهو بائع القَشَش، وهو الحقير من المتاع. ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقي (ت711هـ/1311م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1967م، (336/6)، مادة "قشش".

(55) ابن الأخوة: معالم القُربة في أحكام الحِسْبة، ص342–343.

(56) أرباب السيوف: كبار الأمراء، مثل نائب السلطان، والأتابك، والوزير، وحاجب الحجاب، والوالي، ومن يعاونهم من الحجاب والولاة. القلقشندي: صبح الأعشى، (16/4–27).

(57) طرابلس الشام: تقع على شاطئ البحر المتوسط. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (25/4).

(58) العمايرة: محمد عبد الله: المعجم العسكري المملوكي، كنوز المعرفة، عمّان، ط1، 2011م، ص177.

(59) شادّ المراكب: الشّاد أو المشدّ؛ وهو المفتش، وتُضاف الكلمة إلى اسم الوظيفة مثل شادّ المراكب وشادّ الدّواوين وشادّ الأوقاف وشادّ العمائر وشادّ الزكاة وشادّ الجوالي (أموال الجزية) وغيرها، وتسمّى العملية شدّ، فيقال شدّ الدواوين أي التفتيش عليها. دهمان: محمد أحمد: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م، ص95؛ عاشور: سعيد عبد الفتاح: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ط)، 1976م، ص449.

(60) محمد العمايرة: المعجم العسكري، ص178.

(61) ابن شاهين: غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (ت873هـ/1468م): زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح: بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ط1، 1894م، ص27.

(62) المقريزي: المواعظ والاعتبار، (331/3).

(63) هو يلبغا بن عبد الله العمري الناصري الخاصكي الجركسي الأتابك، قتله مماليكه حقدًا عليه في حرب جرت بينه وبينهم سنة 768هـ/1366م. انظر: ابن حبيب: الحسن بن عمر الحلبي (ت779هـ/1377م): تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد محمد أمين وسعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط2، 1976م، (289/3)؛ ابن شاهين: عبد الباسط بن خليل الظاهري (ت920هـ/1514م): نيل الأمل في ذيل الدُّول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1422هـ/2002م، (392/1).

(64) هو فخر الدين ماجد بن قزوينه الأسلمي القبطي. الوزير الصاحب ناظر الخاص. قتل صبرًا في جمادى الآخر سنة 768هـ/1366م. انظر: المقريزي: السلوك، (211/6)؛ ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (311/2).

(65) المقريزي: السلوك، (288/4)؛ المواعظ والاعتبار، (326/3).

(66) المقريزي: السلوك، (112-113/7).

(67) المقريزي: المواعظ والاعتبار، (340/3).

(68) المقريزي: المواعظ والاعتبار، (344-345/3).

(69) المقريزي: السلوك، (288/4).

(70) عين جالوت: بلدة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (369/2).

(71) عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، (189/1).

(72) المقريزي: المصدر السابق، (331/3).

(73) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأسفار وعجائب الأسفار، (200/1).

(74) المقريزي: المواعظ والاعتبار، (340/3).

(75) الحراريق: جمع حراقة؛ هو الاسم الذي أُطلق على السفينة النيلية. محمد العمايرة: المعجم العسكري، ص187.

(76) الطرائد: سفينة صغيرة سريعة السّير والجري، مفتوحة المؤخرة بأبواب تُغلق وتُفتح، وتُستخدم في حمل الخيول وغيرها (في حدود أربعين من الخيل)، كما تُستخدم في الغالب في البحر المتوسط. درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم، ص89.

(77) محمد العمايرة: المرجع السابق، ص188.

(78) هو الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور قلاوون بن عبد الله النجمي الصالحي. تولّى السلطنة سنة 689هـ/1289م، قتله مماليكه غدرًا في المحرم سنة 693هـ/1293م وهو دون الثلاثين من العمر. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، (395/13).

(79) هو شمس الدين محمد بن عثمان ابن أبي الرجاء التنوخي الدمشقي التاجر الوزير، المعروف بابن السلعوس. وزير الملك الأشرف خليل بن قلاوون. قتل في صفر سنة 693هـ/1294م. انظر: أبو الفداء: الملك المؤيد إسماعيل بن عليّ الأيوبي (ت732هـ/1331م): المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ط1، 1907م، (367/2)؛ ابن كثير: البداية والنهاية، (388/13).

(80) المقريزي: المواعظ والاعتبار، (240/3).

(81) المصدر نفسه، (241/3).

(82) جزيرة أرواد: جزيرة في الساحل الشرقي من البحر المتوسط، قريبة من مدينة طرطوس السورية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (162/1).

(83) المقريزي: المصدر السابق، (340-342/3).

(84) محمد العمايرة: المعجم العسكري، ص62-63.

(85) محمد العمايرة: المعجم العسكري، ص183.

(86) المرجع نفسه، ص154.

(87) المرجع نفسه، ص124.

(88) المرجع نفسه، ص184.

(89) المرجع نفسه، ص185-186.

(90) القرقورة: وجمعها قراقير وهي السفينة العظيمة. ابن منظور: لسان العرب، (90/5).

(91) محمد العمايرة: المرجع السابق، ص236.

(92) سبق التعريف بالأغربة.

(93) محمد العمايرة: المرجع السابق، ص221.

(94) المقريزي: السلوك، (113/7).

(95) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، (268/14).

(96) انظر صورة هذه الآلة الحربية في الملحق رقم (1).

(97) الطرسوسي: مرضي بن عليّ (ت589هـ/1193م): موسوعة الأسلحة القديمة، تحقيق: كارين صادر، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1998م، ص166؛ الزردكاش: ابن أرنُبغا الأيوبي (ت867هـ/1463م): الأنيق في المجانيق، تحقيق: إحسان هندي، معهد التراث العلمي، حلب، (د.ط)، 1405هـ، ص23.

(98) البيرة: بلدة تقع قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، بها قلعة حصينة ولها رستاق واسع. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (624/1).

(99) بيبرس الدوادار: بيبرس بن عبد الله المنصوري (ت726هـ/1325م): زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: دونالد س. ريتشارد، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ط1، 1998م، ص95.

(100) قيسارية: أو قيصرية؛ مدينة كبيرة قديمة البناء منسوبة إلى قيصر ملك الروم، اتخذها سلاطين سلاجقة الروم عاصمة ثانية لهم يتنقلون بينها وبين قونية، وموقعها إلى الغرب من سيواس. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (421/4-422).

(101) المقريزي: السلوك، (19/2).

(102) المقريزي: المواعظ والاعتبار، (324/1).

(103) بيبرس الدوادار: المصدر السابق، ص278-279.

(104) هو الملك المظفر (الثاني) تقي الدين محمود ابن الملك المنصور (الأول) محمد ابن الملك المظفر (الأول) عمر بن شاهنشاه الأيوبي الكردي الحموي، صاحب حماة وبعرين والمعرة وابن ملوكها. مات بحماة في ذي القعدة سنة 698هـ/1298م. انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، (322/6)؛ الذهبي: محمد بن أحمد الدمشقي (ت748هـ/1374م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م، (232/15).

(105) هو الملك المنصور (الأول) أبو المعالي محمد ابن الملك المظفر (الأول) عمر بن شاهنشاه الأيوبي الكردي، صاحب حماة وبعرين والمعرة. كان ثاني ملوك الأيوبيين على حماة وبعرين والمعرة. تولّى الملك سنة 587هـ/1191م. مات سنة 617هـ/1220م. انظر: ابن الوردي: عمر بن مظفر الدمشقي (ت749هـ/1348م): تتمة المختصر في تاريخ البشر (أو تاريخ ابن الوردي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م، (207/2)؛ الحنبلي: أحمد بن ابراهيم الحنبلي (ت876هـ/.1471م): شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1417هـ/1996م، ص337.

(106) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، (24/4).

(107) سيس: أو سيسيّة، وعامة أهلها يقولون سيس؛ وهي مدينة من أعظم مدن الثغور الشاميّة، تقع بين أنطاكية وطرسوس. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (298/3)؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص257.

(108) التّجريدة: وجمعها تجاريد؛ وتطلق على فرقة من الجيش، وهي الخيل التي لا رجّالة فيها، تقوم بمهام تأديبية، وعادة ما تكون هذه التجريدة تحت قيادة السلطان؛ أو أحد كبار الأمراء. محمد العمايرة: المعجم العسكري، ص73؛ أحمد رضا: معجم متن اللغة، (504/1).

(109) المقريزي: السلوك، (229/3).

(110) انظر صورة هذه الآلة الحربية في ملحق رقم (2).

(111) النار الإغريقية: عبارة عن سائل حارق، يستخدم لإشعال النار على سفن العدو، تشتعل فوق الماء، استخدمها الإغريق، ثم البيزنطيون في حروبهم البحرية. لمزيد من المعلومات انظر: مجموعة مؤلفين: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1419هـ/1999م، (25/29).

(112) محمد العمايرة: المعجم العسكري، ص121، 136، 149.

(113) المقريزي: السلوك، (19/2).

(114) المصدر نفسه، (229/3).

(115) محمد العمايرة: المعجم العسكري، ص61.

(116) العريش: هي آخر بلدة تتصل بالشام من أعمال مصر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (114/4).

(117) المقريزي: السلوك، (115/7-113).

(118) محمد العمايرة: المعجم العسكري، ص158.

(119) المقريزي: المصدر السابق، (230/3-229).

(120) محمد العمايرة: المرجع السابق، ص177.

(121) ابن منكلي: محمد بن محمود بوغا القاهري (ت784هـ/1382م): كتاب الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، دراسة وتحقيق ونشر: سليمان الرحيلي، الرياض، ط1، 1997م، ص223.

(122) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص81.

(123) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص159.

(124) انظر: ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص309-313.

(125) انظر: المقريزي: السلوك، (117/7)؛ المواعظ والاعتبار، (340/3).

(126) المقريزي: المواعظ والاعتبار، (208/1).

(127) المقريزي: السلوك، (117/7).

(128) أحمد دراج: المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ص7-8.

(129) عادل زيتون: العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص202.

(130) المرجع والصفحة نفسها.

(131) فرسان الاسبتارية: أو فرسان القديس يوحنا أو فرسان مالطا؛ وهي فرقة عسكرية دينية شاركت بفعالية في الحرب الصليبية، وكان مقرها بجزيرة رودس ثم في جزيرة مالطة. انظر: رنسيمان: ستيفن: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1967م، (24/3).

(132) هو الملك الأشرف قانصوه بن عبد الله الجركسي المصري، المشهور بالغوري. تولّى السلطنة سنة 906هـ/1500م. قُتل سنة 922هـ/1516م في معركة مرج دابق الشهيرة أمام العثمانيين. انظر: ابن إياس: محمد بن أحمد الحنفي (ت930هـ/1523م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط3، 1984م، (73/3).

(133) انظر: ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، (192/4-191)؛ إسكندر: فايز: زمن المماليك الجراكسة في عيني الرحالة الفرنسي جان ثونو، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، مصر، 2011م، ص248.

(134) المقريزي: أحمد بن عليّ القاهري (ت845هـ/1441م): إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق: كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1, 1427هـ/2007م، ص115.

(135) المقريزي: السلوك، (117/7).

(136) قوص: مدينة مصرية شرقي النيل، كبيرة بصعيد مصر. كانت محطة التجار القادمين من عدن، وأهلها أرباب ثروة واسعة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (413/4).

(137) المقريزي: المواعظ والاعتبار، (340/3)؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، (154/7).

(138) المقريزي: المصدر السابق، (342/3).

(139) القلقشندي: صبح الأعشى، (524/1).

(140) حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (317/2).

(141) القلقشندي: المصدر السابق، (425/1).

(142) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، (123/16-119).

(143) المقريزي: المواعظ والاعتبار، (340/3).

(144) الكرك: قلعة حصينة، تقع شرق نهر الأردن. ياقوت الحموي: معجم البلدان.

(145) لمزيد من المعلومات حول استرداد عكا انظر: بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص278-279.

(146) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص279–280.

(147) المصدر نفسه، ص280–281.

(148) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص282–283.

(149) انظر النص الكامل للخطاب في: ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص309–313.